



اتحاد الكتاب العرب

الثقافة للجميع

سلسلة

كتابات الجيب

يودع مجاناً مع مجلة الموقف الأدبي - العدد 70 - آذار - 2013 السنة الخامسة



رباعيات عمر الخيام



تقديم: أ. د. حسين جمعة

اختيار: مالك صفور

**رباعيات
عمر الخيام**

عنوان الكتاب : رباعيات عمر الخيام

تعريب : أحمد الصافي النجفي

تقديم : أ.د. حسين جمعة

اختيار : مالك صقور

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم/70/ آذار

الناشر : اتحاد الكتاب العرب

الإخراج الفني : وفاء الساطي

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الإلكتروني: E-mail: aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت
<http://www.awu.sy>

رباعيات عمر الخيام

تعريب
أحمد الصافي النجفي

تقديم: أ.د. حسين جمعة
اختيار: مالك صقور

رباعيات الخيام

د. حسين جمعة

1- تعريف موجز بالخيام:

أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام النيسابوري، لقب غياث الدين، وحجة الحق؛ واشتهر بالخيام في المصادر الفارسية (1) و(الخيامي) في بعض المصادر العربية (2) نسبة إلى حرفة والده في صناعة الخيام؛ على الأرجح. فليس من المعقول أن يكون عمر صانعاً للخيام، على حين ذهبت المصادر كلها إلى دخوله مجالس الدرس منذ صغره؛ ورافق كبار الناس مثل نظام الملك..

والخيام فارسي الأصل، ولكن ثقافته الإسلامية ذات مشارب شتى. وقد ولد بنيسابور في خراسان (430هـ / 1039م) وبها توفى سنة (526هـ / 1132م) ودفن في مقبرة إمام زاده محمد المحروق في حي (حيرة) من ضواحي المدينة.

وحين رجحنا ذلك فإن المصادر اختلفت في سنة ولادته ووفاته
فقبيل: كانت ولادته سنة (433هـ أو 443هـ أو 445هـ) ووفاته سنة
(514هـ أو 515هـ أو 517هـ أو 518هـ أو 527هـ.) (3)

عُرف الخيام بالفطنة ورجاحة العقل والذكاء الحاد، والتفوق
على الأقران، والبراعة في الحديث والكتابة؛ والقناعة في العيش،
والحدة في المزاج أحياناً..

وعُدَّ من أصحاب اللسانين الفارسي والعربي؛ وقيل: إنه كان
يعرف غيرهما.. وهو قدح أهل زمانه في العقيدة، وإن كان يتقي الناس
بالتقية... وكان عالماً موسوعياً في معارف كثيرة كالرياضيات
والفلك والفلسفة والفقه والتاريخ واللغة.. وله مؤلفات شتى في علوم
الرياضيات والفلك والفلسفة والفقه والتاريخ واللغة.. ومؤلفاته كثيرة
ضاع قسم منها ووصل إلينا قسم آخر مثل (مقالة في الجبر والمقابلة)
(والكون والتكليف) و(جواباً لثلاث رسائل) و(رسالة في الموسيقى)
و(زيح ملكشاهي) وغير ذلك؛ وله شعر عربي فضلاً عن رباعياته
الفارسية ومكاتباته وترجماته (4).

لذلك كله كان أحد الحكماء؛ لشهرته بأراء فلسفية وحكم
كثيرة، ولاعتباره أحد ناظمي الحساب السنوي الذي تعمل به
الجمهورية الإسلامية اليوم؛ ومبدؤه نزول الشمس (5).

فلا غرو بعد هذا أن يكون عند بعض القدماء ثاني الحكماء
بعد الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن
سينا (370 - 428هـ / 980 - 1037م) والمشتغل بعلوم الطبيعة والإلهيات،
فضلاً عن آرائه الفلسفية (6).

وبناء على ذلك كله قرّبه السلطان السلجوقي جلال الدين ملكشاه بن ألب أرسلان، وأنزله منه منزلة الندماء؛ وعرف قدره الخاقان شمس الملوك ببخارى، وأجلسه على سريريه. وكان في شبابه من خلصاء أبي علي حسن بن علي الطوسي الملقب بنظام الملك (408 - 485هـ/1017 - 1092م) الوزير من بعد الذي بنى المدارس النظامية في نيسابور وبغداد. وتلمذ معه ومع حسن بن الصبّاح الإمامي المذهب؛ صاحب قلعة ألمات (428 - 518هـ / 1037 - 1124م) على يد بعض علماء فارس؛ كما تثبته وصية نظام الملك التي سنعرض لقسم منها في الحاشية الحادية والعشرين، وبخاصة الإمام الموفق النيسابوري إمام أهل السنة في نيسابور (7).

وقد نوّه به بعض معاصريه وعدد ممن جاء بعده كأبي حامد الغزالي محمد بن أحمد الطوسي (450 - 505هـ/1058 - 1111م) الصوفي الفيلسوف الفقيه... وأبي الحسن علي بن أحمد المعروف بالغزال (ت 516هـ / 1132م) وأبي القاسم الزمخشري محمود بن عمر (ت 538هـ/1143م) وأبي الحسن البيهقي علي بن زيد بن محمد بن الحسين (499 - 565هـ / 1106 - 1170م) (8).

وقد وصفه القفطي أبو الحسن علي بن يوسف بقوله: "إمام خراسان، وعلامة الزمان، يعلم علم اليونان، ويحث على طلب الواحد الديان بتطهير الحركات البدنية لتنزيه النفس الإنسانية.." (9)

وكان من تلامذته ومعاصريه أبو الحسن أحمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي صاحب كتاب (جهاز مقالة)، وتحدث

فيه عن الخيام بسند علمي صحيح ونقل كثيراً من سيرته وأخباره، ما جعله أقدم كتاب موثق في هذا الباب (10).

ومن تلامذة الخيام الإمام الفيلسوف شرف الزمان محمد الإيلاقي، والحكيم علي بن محمد الحجازي القابيني؛ والعلامة عبد الله بن محمد الميانجي... (11).

لهذا كله ليس غريباً إن كانت له محاجات مع علماء عصره وسلاطينه أمثال الغزالي وملكشاه، ونظام الملك. وكانت له مكانة خاصة في المجالس السلطانية والعلمية؛ والأدبية" (12). وقال عنه ابن خلكان: "قعد مكانه للتدريس يدرس ويفتي ويجمع طرق المذهب" (13).

أما أسرة الخيام فقد اختلف في أمرها، فهناك من ذهب إلى أنه لم يتزوج؛ ولكن هذا ليس بصحيح وإن لم يُعرف شيء عن أسرته عدا ما ذكر عن اسم ختته الإمام محمد البغدادي (14) والختن زوج البنات - غالباً - وفي الحديث الشريف "عليٌّ ختن رسول الله ﷺ" وإن جاز وقوعه على الأخت عند بعض اللغويين (15).

ولعل ذلك يدل على أنه تزوج وأنجب.

عاش عمر الخيام في العصر السلجوقي، وهو عصر ازدهرت فيه العلوم المتعددة.. فقد ازدهر فيه علم الكلام والفلسفة والحركات الباطنية، وانتشرت فيه الصراعات وشاعت الاضطرابات والقلاقل.. بمثل ما نشطت فيه حركات التصوف..

وقيل: لما شاعت بعض آرائه الفلسفية تعرض للطعن من قبل معاصريه؛ وطلّنت به الظنون. لذا حُجّ، وأقام ببغداد مدة، ثم أصفهان، وعاد إلى نيسابور، وكان من قبل قد تردد على بخارى وبلخ، ومكث فيهما زماناً (16).

2- تعريف موجز بالرباعيات:

جاءت شهرة الخيام من التصاق اسمه بالرباعيات المنظومة بالفارسية على شكل (الدوبيت) والمكونة من أربعة أشطر تنتهي بقافية واحدة ووزن واحد؛ وهو ما عرف باسم الرباعي الكامل، أما الرباعي الخصيّ (الأعرج) فهو يقوم على وزن واحد مع اختلاف قافية الشطر الثالث - غالباً .. والوزن هو بحر (الهمزج) المؤلف من تكرار تفعيلة (مفاعيلن) ست مرّات.. وقد استخرج منه الشعراء أربعة وعشرين وزناً.. علماً أن معظم رباعيات الخيام من الخصيّ.

ولذلك سميت بالرباعيات، وهذا الفن معروف في الشعر الفارسي منذ أواخر القرن الثالث الهجري. وقد نظم عليه شهيد البلخي المتوفى (325هـ/936م) والروّدي السمرقندي المتوفى (329هـ/940م) والدقيق الطوسي المتوفى (368هـ/978م).. وأبو سعيد ابن أبي الخير المتوفى (440هـ/1049م)؛ وغيرهم.. (17)

وعرف بعض معاصري الخيام بنظمها كالشيخ عبد الله الأنصاري المتوفى (488هـ/1088م) فضلاً عن أن الأستاذ أحمد حامد الصراف وآخرين يرون أن هناك شاعراً آخر يدعى الخيامي، واسمه

علي بن محمد بن أحمد بن خلف الخراساني الملقب علاء الدين.. وهو كثير الشعر مشهور؛ وربما يكون قسم منه نسب لعمر الخيام. (18) وإذا كان العرب والمسلمون قد عرفوا المُشَطَّرَات الشعرية والمُخَمَّسات والمربَّعات ولا سيما في الموشحات فإن الرباعيات تختلف في بنيتها القائمة على تكرار كثير من الأفكار. ولعل هذا يجعلها لا تحتاج إلى شاعرية إبداعية بالمعنى الدقيق للشاعرية؛ لأنها لا تحتاج إلى جهد كبير على رأي بعض الدارسين. (19)

ومهما يكن القول فالرباعيات نتاج فارسي جُمعت في أواسط القرن التاسع الهجري بعد مضي ثلاثة قرون ونصف على وفاة عمر الخيام؛ ولا يُعلم عددها بدقة؛ لأنه ما زال يظهر لدينا أشكال منها وإن قيل: بلغت (1200) رباعية.. وقد تناولها الدارسون وحققوا بعضها لعمر الخيام، بينما نُسب إليه كثير آخر. فهناك من يرى أن رباعيات الخيام عرفانية صوفية ولا صلة له بكل ما انطوى على العبث والإلحاد.. وهناك من يرى أنه لم ينظم أي رباعية؛ لأن مكانته المعرفية والعلمية والعرفانية تبعده عن ذلك؛ علماً أن المؤرخين في عصره وبعده لم يذكروا أنه شاعر، ولا سجلوا له أي رباعية من أي نمط كان (20)؛ وإنما جاءت شهرته من إبداعاته في الفلك وعلم الحساب..

ويرى (رضا زاده شفق) أن الخيام كان ينظم الرباعيات (ليفرج بها عن نفسه بعد طول البحث في مسائل النجوم، أو التدقيق في أبحاث الطب، أو التحقيق في غوامض الحكمة، ولقد كان يسجل الفكرة الكبيرة في تلك الرباعيات البسيطة اللطيفة. ويقال: إنه حينما يتحير في حلّ مسائل العلم بطريق العقل والبرهان كان يتحرك إحساسه عند

النظر في تلك المسائل فيظل مبهوتاً متحيراً، فإذا به يخلق في الفضاء الواسع، فيطير بفكره وخياله فيجري لسانه بتلك الرباعيات" (21). ومثله كان أبو حامد الغزالي يتكلم بالنثر تارة ويلجأ إلى الشعر تارة أخرى. (22)

فإذا صح ما قاله عنه رضا زاده من إنشاء الرباعيات ترفيهاً لنفسه وتخفيفاً لألامه من طول النظر في المسائل العلمية الدقيقة فإن الخيام يكون سابقاً للمدارس التربوية الحديثة التي تصطنع الترفيه بالموسيقى واللعب في العملية العلمية والتربوية لطلاب المدارس وغيرهم.. دون أن ننسى لحظة واحدة أن الترويح عن النفس بعد طول الذكر والتفكير مبدأ إسلامي يثبته حديث رسول الله (ص) لحنظلة الأسيدي: "والذي نفسي بيده إن لو تدمون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة - ثلاث مرات" (23)

وليست الغاية من البحث دراسة توثيق الرباعيات للخيام، فقد أغنانا الدارسون عن هذا كله.. ولم يتوصلوا إلى رأي قاطع في الأمر؛ فمنهم من أثبت له ست عشرة رباعية؛ ومنهم من زاده إلى ست وثلاثين أو ست وخمسين.. وأوصلها آخرون إلى ما يزيد على مئة (24) كما هي عليه الرباعيات التي اعتمدها بترجمة أحمد الصافي النجفي؛ ومصطفى وهبي التل المشهور بعرار... الأولى شعرية والثانية نثرية..

ومهما يكن الأمر فمنعم النظر في الرباعيات يدرك أنها متفاوتة المضمون والبناء؛ وإن تشابهت في كثير من الملامح الفنية؛ مما يصعب

القطع في نسبة عدد منها إلى شاعر بعينه.. ولهذا جعلنا الترجمتين السابقتين أصلاً لدراستنا، وإن لم نهمل الإشارة إلى ترجمات أخرى.

وهنا تقتضي الإشارة منا إلى أن الرباعيات ترجمت إلى العربية عن الفارسية في الوقت الذي ترجم عدد منها عن لغات أخرى كالإنكليزية.. فقد ترجمت إلى الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية واللاتينية والنمساوية والتركية وغيرها..

ويبدو لي أن العرب عرفوا الترجمة الإنكليزية قبل أن يطلعوا عليها بالفارسية، وأول من ترجمها إلى الإنكليزية (توماس هيد) أستاذ اللغتين العربية والعبرية في جامعة أوكسفورد سنة (1700م)، ولكن ترجمة الشاعر الإنكليزية (فتزاجيرالد) سنة (1859م) هي التي أصابت الشهرة في الأوساط الإنكليزية؛ لأنها اتصفت بالشفافية والدقة؛ فضلاً عن أنها تواءمت مفاهيمها مع طبيعة الغربيين، ولا سيما ما يتعلق بالحديث عن الخمرة والمرأة، ومبدأ الشك، والبحث عن سر الوجود؛ فقد بلغت طبعاتها حتى سنة (1925م) نحو (129) طبعة، (25). ومن ثم تجاوزت اليوم ثلاث مئة طبعة.. ما جعل الخيام يحوز مكانة عالمية بها دون إهمال شهرته بعلم الرياضيات والفلك ووَضْع التقويم الشمسي..

أما ترجماتها العربية فقد زادت على خمس عشرة ترجمة، عدا الدراسات والأبحاث التي قامت حولها.. يعد الأستاذ وديع البستاني أول من ترجمها عن الإنكليزية إلى العربية سنة (1912م) وأحالها إلى سباعية بدل الرباعية (26).

ولما اطلع عليها عدد من الشعراء العرب سارعوا إلى ترجمتها عن الفارسية؛ فقد ترجمها عن الفارسية أحمد الصايغ النجفي إثر قراءته لترجمة وديع البستاني، ثم تعلم الشاعر أحمد رامي الفارسية وترجم الرباعيات عنها سنة (1924). وتزيد ترجمة رامي شفافية على ترجمة النجفي؛ وإن سكب كل منهما روحه الشعرية فيها؛ إذ ترجم الحالة الشعرية التي امتزجت بالحالة الشعورية. والسبب في شفافية رامي أنه كان يقع تحت تأثير أحزان فقد أحد ذويه..

وحيثما قرّب أحمد رامي الرباعيات إلى النفس العربية بأساليب رقيقة، كان لصوت أم كلثوم أثر بعيد في شهرتها بين الناس حين غنت بعض رباعيات أحمد رامي.

وكان الشاعر جميل صدقي الزهاوي قد ترجمها شعراً سنة (1924م) عن الفارسية؛ ولكنه أكثر التصرف فيها، ثم ترجمها نثراً فالتزم بالنقل الحر في مثله مثل (عرار)؛ على حين جمعت ترجمة محمد الفراتي بين الروح الشعرية والالتزام بكثير من المعاني الأصلية باعتباره متقناً للفارسية، و مترجماً عنها.. فضلاً عن ترجمات أخرى كتترجمة محمد السباعي وأحمد حامد الصراف مما وقف عنده الدكتور عبد الحفيظ محمد حسن (27).

وقبل أن نشير إلى خصائص الرباعيات نثبت أن هذه الترجمات لم تكن مبنية على بحر الهزج وحده، ولم تتبنّ طريقة واحدة في الشكل، في الوقت الذي اختلفت فيه في طريقة التعبير عن الأصل الفارسي بين النقل الحر والمجازي الذي أدخلها في تأويلات جديدة لم تكن في الأصل.. فمن ترجم الحالة الشعرية - باعتباره شاعراً -

كالسباعي والنجفي وأحمد رامى.. فإن ترجمته اتّصفت بالشفافية والصور المتخيلة التي تسمو بالنفس لأن شخصيته وثقافته عدت جزءاً من التجربة الإبداعية الجديدة، وحملت العديد من رؤاه.. ومن ترجم الرباعيات - باعتباره نائراً - كالأهواي وتوفيق مفرّج وعرار وأحمد حامد الصراف.. فقد اتصفت ترجمته بالنقل الحرّفي غالباً؛ وإن لم يستطع عزل ثقافته عنها.. فتارة تكون دقيقة أمينة؛ وتارة أخرى يتصرف فيها كثيراً بما يتسق وما يملكه من ثقافة.

لهذا كله تظل الأحكام الصادرة عليها مرتبطة بذلك كله؛ سواءً منها ما يتعلق بدراسة المضمون أم الشكل..

ومهما يكن الأمر فالرباعيات دلت على نزوع عقلي، وقريحة نادرة، وموهبة فذة امتزجت بحس مرهف، وعاطفة متوثبة شفافة... فالحالة الشعرية تستند إلى العقل والحُدس، فهما أساس الرؤية الشعرية الفلسفية لدى الخيام.. والعقل لديه - كما نرى - "ممارسة وجودية تتغير أبنيتها وعلاقاتها مع كل فضاء فكري يُفْتَح، أو كل شكل معرّف يُبْتَكِر" (28). ولهذا طغت الدلائل الشعرية المتركرة حول مبدأ الشك واليقين، حتى انتهت لديه إلى فلسفة الوجود والعدم.. وقيل: إنه من الجبريين؛ وكذلك قيل: إنه من الباطنيين، أو من الأبيقوريين؛ وقيل: كان لا أدرياً، ومتشائماً (29).

وهناك من عزف عن ذلك كله فأوّل أحاديثه عن الخمرة والمرأة والوجود فجعله صوفياً وجعله في حكماء المتصوفة والفلاسفة يتعلق بالمثل والأخلاق، ويدعو إلى الزهد والتصوف في قوالب فنية يصب مشاعره فيها بكل حيوية وصدق..

وبناء على ذلك كله كان علينا اختيار الترجمتين اللتين أشرنا إليهما - إذ لا بد من الاختيار - وهما من أقرب الترجمات إلى الأصل الفارسي - وإن كانت ترجمة النجفي شعراً - لنبرز فلسفته بين العدم والتصوف: هذه الفلسفة التي تنتمي إلى ما يعرف بالشعر الفلسفي؛ باعتبار وظائفه ودلائله وأهدافه، مما يقربه من مفهوم الفلسفة نفسه.

ولما أردنا ذلك قدمنا بما يدخلنا إليها بمفهوم (حدود وأبعاد) وأتبعناه بمبدأ الشك واليقين لديه؛ لنكتشف حدوده ومفاهيمه باعتباره العلة للاتجاه الفلسفي المادي الوجودي الذي أوصله إلى فلسفة العدم.. وهذه الفلسفة هي التي أخرجتنا إلى النقيض الذي يتجسد في فلسفة التصوف والحكمة لديه..

3 - فلسفة الخيام في الرباعيات

أ- حدود وأبعاد:

لا مرأى عند عدد من القدماء والمحدثين بأن عمر الخيام كان أحد الفلاسفة الحكماء، وأحد الأطباء وعلماء الهيئة والفلك والرياضيات.. ولذلك كله وصفه أبو الحسن البيهقي بأنه "الإمام والدستور والفيلسوف وحجة الحق" (30).

وكان الخيام يمتلك من الصفات ما أهله لذلك كله فهو ذكي فطن، صايف الذهن، دقيق الحس، والملاحظة.. كثير الحفظ والدرس؛ مثابر على المطالعة والقراءة؛ يسرع إلى مجالسة العلماء والأدباء والأمراء.. رفع منزلة العقل إلى درجة عظيمة فجعله الفيصل في كل ما يجري له، بعد أن تسلح بمنهج تفكير علمي وفق ظاهرة العلة

والمعلول؛ والمقدمات التي توصل الباحث إلى النتائج لكثرة إدامة النظر فيها وكشف أسرارها..

فالعقل وحده أصل الأشياء؛ في الوقت الذي جعل خبرات الواقع والدين والثقافة وسائل لإنتاج فلسفته الخاصة به.. بعد أن مزجها بمشاعر رقيقة، وعاطفة فياضة وصادقة الحس..

وهذا كله يؤكد مفهوم الشعر الفلسفي الذي يماثل مفهوم الفلسفة.. فهي نتاج فكري لنشاط فكري لا يتوقف عن إثارة الأسئلة وإعادة صوغ المشكلات" كما يراها بعض المحدثين (31).

فالفلسفة منهج تفكير لفهم الكون وتحليله وتفسيره.. ومن ثمّ يتميز نمط التعبير عنها بين الناس عامة، والفلاسفة خاصة.. وبكلام آخر: إن ولادة الفلسفة تكمن في معنى القول بما يعتمد منه لغة التعبير عن رؤى ذات نظام عقلي أو وجودي كوني، لأنها بحث عن المعرفة والحكمة، ولا سيما معرفة الوجود وغايته.

ولهذا فالفلسفة لا تنفصل عن منهج التفكير الذي يفسر الوجود وأحداثه وظواهره كلها.. وهذا هو السبب الذي يؤدي إلى اختلاف رؤى الفلاسفة الكونية، ويميز خطابهم الفلسفي عن الوجود، دون إهمال أثر الثقافة والتاريخ والوجود الذاتي والموضوعي... فمنهم من عبّر عن الموجود من الوجود، ومنهم من قفز فوق الواقع والدين في إطار نظم المفاهيم العقلية..

وبناء على هذا نرى أن عمر الخيام في رباعياته عبّر عن الوجود من الموجود في صميم تفسير عقلي وربما حملت معنى باطنياً خفياً.. فانتهى به إلى الشك، ثم إلى العدمية.. وربما عبّر عن الوجود من

الموجود في إطار وحدة الوجود كما نجده عند المتصوفة؛ إذ نظروا إلى انسجام الأشياء في الوجود أو الواقع (32).

أما حين أراد أن يجعل التناسق بين العالم السفلي والعلوي في عقله، وفق وحدة الشهود عند المتصوفة فربما وقع في القلق والاضطراب؛ الذي مرَّ به مرة أخرى من مبدأ الشك.. ثم فلسفة العدم.. وكل من يحلل العوالم الشعرية، ويستطيع القبض على الحالة الشعرية والشعورية لديه؛ يمكنه إدراك الرؤى الفكرية التي تكمن وراء ذلك من جهة الهدف والوظائف.. ولعل كل عنصر فني في ربايعاته يؤكد ذاته في تجسيد فضاءات متمايضة ووظائف متنوعة وشديدة الإيحاء.. فهي غالباً وظيفاً فكرية اجتماعية تأملية وفلسفية قبل أن تؤدي وظيفتها الاتصالية والجمالية التعبيرية..

ومن هنا نستوعب طبيعة العلاقة بين الشعر الفلسفي والفلسفة؛ فليس هناك فرق شديد في الرؤية؛ اللهم إلا في التعبير والتصوير.. فالشعر الفلسفي يكون نظاماً فكرية أساسها التأمل الذاتي العقلي؛ والمنبثقة - في الأصل - من نظم فكرية متعددة؛ سواء كانت متوافقة أم متخالفة، كالفلسفة تماماً.

ولعل التوافق والاختلاف في الرؤية الفلسفية على ارتباطهما بالثقافة والنزوع الذاتي أعظم ارتباطاً بالزمان والمكان الذي يقع فيهما الإنسان.. ولما كان الخيام قد عاش في عصر كثير التقلبات والأحداث المتناقضة على مختلف الصعد سياسياً واجتماعياً ودينيًا ومذهبيًا فقد ظهرت تجليات ذلك في فلسفته.. فحين اتصل بأمرء عصره ابتعد عن الانغماس في شؤون السياسة؛ وما طلب منهم إلا أن يعينوه على البحث

والمطالعة... بعكس صديقه حسن بن الصباح الذي أصبح له شأن سياسي ديني خطير ومهم في الحركات الدينية والمذهبية التي نشأت آنذاك (33). ولا شيء أدل على هذا كله ما قاله لصديقه الوزير نظام الملك حين استقدمه وعرض عليه جاهاً وسلطاناً: "لا أريد منك أكثر من أن تدعني أتقياً طرفاً من ظلال نعمتك الفيحاء؛ لكي أتمكن من نشر ضياء العلم ونور المعرفة، داعياً لك بدوام العز وطول البقاء. فأجابه الوزير، وأجرى له مرتباً سنوياً قدره ألف ومئتان مثقالاً من الذهب" (34).

ولسنا نرتاب لحظة واحدة في أن مطالعته قد تجسدت في فلسفته؛ وبرزت في صور كثيرة من ربايعاته.. فهو أحد من "يعلم علم اليونان" كما قال القفطي (35).

وكان متأثراً بأبي العلاء المعري إلى حد بعيد جعله يحذو حذوه في أفكار عديدة وأساليب مختلفة: علماً أن كليهما أفاد من الفيلسوف أفلاطون (484 – 317 ق.م) الذي كان من رواد الفلسفة المثالية الموضوعية، وله محاورات فلسفية عديدة.

لهذا يرى أحد الباحثين أنهما يناديان "بإظهار الحقيقة من غير زيف أو خداع [ويعملان] على محاربة البدع وتحكيم العقل في أمور الدين" (36).

وتأثير أبي العلاء بارز في الخيام رؤية وأسلوباً، ولا سيما فيما يتعلق بمفهوم الوجود ودورة الحياة.. فهي متكاملة ومستمرة؛ فالإنسان من تراب وسيعود إليه. ولهذا يربط بين الحياة والموت، لأن الموت سبب لاستمرار الحياة، لا باعتبار التناقض كما في قوله (37):

إن التراب الذي تطؤه أقدام كل جاهل
كفُ حسناء ووجه محبوبية،
وكل لبننة على شرفة إيوان
هي إصبع وزير أو رأس سلطان.
وترجمتها عند أحمد رامى:

فكم توالي الليل بعد النهار وطال بالأنجم هذا المدارُ
فامشِ الهوينى، إن هذا الثرى من أعين ساحرة الإحورازُ
وهذه الرباعية على جمال عبارتها ليست إلا صورة من قول أبي
العلاء(38):

خَفَّفِ الوطاء ما أظن أديم الـ أرض إلا من هذه الأجساد
سِرُّ إن استطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً على رفات العباد
والخيام الذي تأثر بالمعري كان متأثراً بالعديد من الآيات
القرآنية، وبأقوال للإمام علي (عليه السلام) وبابن سينا ولا سيما
قصيدته الشهيرة (في خلود النفس) ومطلعها(39):

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذاتُ تدلُّ وتمنُّع
وكان أثر كتاب الشفاء لابن سينا في الخيام كبيراً، فضلاً عن
تأثره بشعراء من فارس مثل شهيد البلخي الذي سنعرض لمثال له من
بعد (40).

ونكتفي بهذه الإشارة إلى المؤثرات الفكرية والأسلوبية لنبرز مصادر فلسفته وتوعها.. دون عزلها عن أحداث عصره وتجربته الذاتية.. وإن كانت تلك المؤثرات تحتاج إلى بحث خاص..

ب - مبدأ الشك واليقين:

لم يكن الخيام وحيداً في مذهب الشك واليقين، والتفكير الحقيقي في العالم الآخر؛ وإن أرجع بعض الباحثين شكّه في الآخرة إلى الترجمات (41). فمن يلج عالم الرباعيات ويمعن فيها تأملاً وتحليلاً مستشرفاً لغتها وصورها وإيحاءاتها يدرك أن فيها آراء كثيرة تدور في عالم الشك في وجود الجنة والنار.. فقد أكدت رباعياته نظمه الفكرية التي جعلت العقل يحتل مكانة عليا في البحث عن سر الكون.. بحث في الأزل والوجود والموت فما وقع إلا في الحيرة والاضطراب؛ لأنه لم يجعل معرفة اليقين بالنور المقذوف بالقلب مثل اليقين الذي يبحث عنه بالعقل؛ دون أن نشك لحظة واحدة في أن مبدأ الشك العلمي يعد أصلاً في نظرية المعرفة؛ فمصدر الحقائق كلها تتجلى في الحقيقة المطلقة التي لا تتبدل ولا تزول؛ وهي تتجسد في الله سبحانه وتعالى ..

فالخيام الذي أدرك بعقله فناء الدنيا البشرية جعل العقل حكمه على ما وراء الطبيعة فصدّم بكثير من حقائق الوجود، في الوقت الذي اصطدم بكثير من مبادئ الدين الحنيف، فاضطرب بين الشك واليقين؛ لهذا طفق يستجلب الأدلة والبراهين لما يذهب إليه. وحاكم كل ما يؤمن به ويراه بالعقل الخالص، بما فيه فلسفة التصوف التي انتهت إليها في أخريات حياته.

ولعل ذلك هو الذي أوقعه في الحيرة والاختلاط، فرُمي بالزندقة والإلحاد كقوله(42):

لقد أكرهت على نزول ساحة الحياة
فما زادتني زيارتها إلا حيرة
وها أناذا أهجرها مكرها

فليتني أعلم القصد من رحيلي، ومن مقدمي وإقامتي!!
وترجمة (عرار) لا تختلف في مضمون التعليل لمفهوم الشك عن
ترجمة رامي لهذه الرباعية؛ في قوله(43):

يا من يحار الفهم في قدرتك وتطلب النفس حمى طاعتك
أسكرني الإثم، ولكنني صحوّت بالآمال في رحمتك
أو ترجمتها عند الصايغ النجفي(44):

تزداد حيرة عقلي كل داجية الدمع حولي مثل الدر
لا يمتلي جام رأسي من وليس يُملأ جام وهو مقلوب
وهذه الرباعية توحى بتأثر الخيام بأبي العلاء المعري، ولا سيما
ما يتعلق بمبدأ الشك واليقين (45) دون أن نغفل تأثره بأسلوب
اللزوميات عند المعري، وهو القائل(46):

والذي حارت البرية فيه حيوانٌ مُستحدثٌ من جماد

ومن يطلع على قصيدة (الطلاسم) لإيليا أبي ماضي يستشف بأنه أخذ فكرتها ومضمونها من رباعيات الخيام حين اطلع على ترجمتها الغربية وبخاصة ترجمة الشاعر الإنكليزي (فتز جيرالد)، ومما قاله فيها(47):

جئت لا أعلم من أين؛ ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت
وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟
لست أدري

فالحيرة في إثبات معرفة سر الحياة والموت كانت مسيطرة على ذهن الخيام، فكان دائم التفكير فيه؛ يطوف - أبداً - في العالم السفلي ليدرك العالم العلوي فوقه في الاضطراب والقلق؛ لا الهَم، لأنه آمن بفناء جسد الإنسان، وخلود الوجود المادي... وهذا هو الذي أوقعه في التناقض، كما أوقعه في الشك القاتل حول تدبير الكون فقال:(48)

حذار تدع يدك تفلت التعقل
فما هذه الأجرام التي تخذت هذا الإيوان موطناً
والتي ما برح أمرها فلسفة تتيه بها أفكار العقلاء
والتي يُظنُّ أن لها شأناً في تدبير أمور الكون إلا مثلنا في حيرة
من أمرها.

وعقل الخيام لم يهدأ لحظة واحدة في تأمل العالم العلوي؛ وبخاصة حين شرع يقيم الدليل على صحة شكه، ومن ثم قفز فوق الدين والتاريخ؛ بل الوجود نفسه... فالعالم الآخر غير مدرك بالعقل، ولا يلمس بالحواس... ولكنه يتساءل: هل أتى أحد منه؟ فيجيب بقوله: (49)

ما من أحمر شهد النعيم أو الجحيم يا نفس!!
وما من أحمر جاءنا نبأ من العالم الثاني!!
فتحن نؤمل بين شيئين

ونتخوف من أمرين لا دليل يقوم على وجودهما.

فهو يبحث عن الحقيقة؛ ويكثر من الأسئلة التي تفجرت على لسانه، وما وجد لها جواباً يشفي غلة الباحث عن معرفة سر العالم الثاني... فحينما تجسدت رؤيته الفلسفية في الرباعية التي تقدمت؛ وهذه الرباعية تتناول الأجرام السماوية التي انتظمت حركتها الكون بتدبير دقيق لا يختل ولا يضطرب - كان المفهوم الفلسفي الكمي يرجعه إلى العقل؛ وكلما رجع إليه ازداد حيرة؛ وهذا ينفي عنه ما قيل فيه من إيمان بمبدأ (اللاأدرية) لأنه أعلى من قيمة العقل؛ وإن شعر أن العقل عاجز عن الوصول إلى الحقيقة المطلقة؛ فقال: (50)

إن مقاييس العقل أعجزُ من أن تسعدنا بمعرفة الزمن
الذي أخذت هذه القِدْرُ المذهبة بالدوران
وأعيبى من أن تفيدنا علم الساعة
الذي ينهار فيها أساس هذا البناء الجميل.

وهذا ما يميزه من أبي العلاء الذي تأثر فيه ولاسيما قوله: (51)
واللبيب اللبيب من ليس يفتُرُ بكونِ مصيره للفَسَادِ

فالأفكار عند الخيام تتفجر بأساليب مفعمة بالحياة الفكرية وجمال التعبير، ليخلق لدينا المتعة الفكرية والفنية، وهو يبحث عن الحقيقة... إنه يصوغ مواقفها منها بقلق دائم، ودهشة متوترة ومستمرة، مما يجعل فلسفته أشد تعقيداً أو أكثر إشكالاً من فلسفة الشك عند المعري. ولهذا يرى المازني أن الخيام ((عالج لغز الحياة فأعياه وأضناه، وحرّقه وأرقه وأطار صوابه)) فلجأ إلى الخمر لتسكن عقله الباحث عن علم الساعة وتخدر حسه المضطرب. ثم استشهد المازني برباعية ترجمها رامى، وغلب عليها اتجاه التصوف، ليثبت رأيه: (52) وهي: (53)

طبعي اثتناسي بالوجوه الحسان وديدني شرب عتاق الدنان
فاجمع شتات الحظ وانعم بها من قبل أن تطويك كف

وعرضَ لرباعيات أخرى؛ منها: (54)

لا تُشغلِ البالَ بماضي الزمان ولا بآتي العيش قبل الأوان
واغنم من الحاضر لذاته فليس في طبع الليالي الأمان

وكان أحمد رامى قد ردّ رأي المازني، لأن (فيتزجيرالد) لم يترجم قسم المناجاة من الرباعيات، وهو قسم أضاف إليه رامى كثيراً من مشاعره، وخياله، ولاسيما ما يتعلق بإحدى رباعياته التي تاب فيها - أخيراً - إلى الله؛ إن الخيام جعل اللذائذ كلها بما فيها الخمرة وسيلة

للبحث عن الخلود المستحيل للإنسان في الدنيا... ولذلك مضى يصفها على هذه الحال... أما رامي فاستدل على ما ذهب إليه بترجمته لإحدى الرباعيات وهي: (055).

يا عالم الأسرار علم اليقين يا كاشف الضّر عن البائسين
يا قابل الأعذار فتننا إلى ظلك فاقبل توبة التائبين

ونرى أن الشاعر - وفق ترجمة التل التي سبقت قبل قليل - راح يلتصق بالوجود؛ هذا البناء الجميل؛ ويتأمل حقيقته لمعرفة سر الحياة. ولهذا استعان بمشاعره وتأملاته ولم يستعن بنظرية المعرفة العقلية التي تزيل الشك... فهو ينظر إلى ما يراه فيجده حقيقة مطلقة؛ وكذا انتهت إليه ثقافته الفلسفية... ولذلك طفق يجري وراء البراهين التي تخرجه من دائرة الشك إلى اليقين... فهو يرى الوجود في حالة حُلْم... فالأحلام تستيقظ في داخله؛ أو لنقل: إن تأملاته في العالم السفلي لم تستطع أن تنتشله من ثورة الشك في داخله؛ فبقي العالم العلوي غير مدرك لديه؛ وظل اكتشاف سر الخلود بعيداً عنه؛ ما جعله ينشغل بمتع الحياة وفق ما انتهى إليه طرفة بن العبد في العصر الجاهلي (56) ووفق فلسفة سارتر الوجودية؛ إذ أصبح البرهان دليل شك وليس دليل يقين، فانتهى الأمر بكل منهم إلى الفعل السلبي المتأثر بالوجود، ولم يكن فعلاً إيجابياً؛ إذ قال الخيام: (57)

لو أني اكتشفت سر الحياة
لعلمت حكمة الموت...

ليت شعري؛ إذا كنت اليوم، وأنا أملك زمام نفسي لا أعلم من أمرها شيئاً

ماذا عساي سأعلم غداً يوم يستحوذ عليّ سبات العدم؟!

فالشاعر يتحدث عن الجسد الذي يتهوى كورقة بيد الموت، وهو يتجه إليه دون انحراف؛ على حين أن الدنيا ثابتة باقية ولا تعرف ماهيتها بدقة... إن الموت يمثل له عبئاً حقيقياً؛ لأنه لم يستطع حل أسراره بعكس ما رأيناه عند شهيد البلخي الذي تأثر به في هذا المقطع إذ يقول: (58)

مررت أمسٍ بخرابة طُوس المتهدمة

فرأيت على الأطلال بدل الديك يوماً ناعبة

فقلت لها: أعندك خبرٌ عن هذه الدنيا الفانية

فقلت: هذا هو الخبر؛ وا أسفاه، وا أسفاه على دنيا خادعة.

فشتان بين هذا المقطع الشعري وبين ما قاله الخيام أو ما يقوله في رباعيته الآتية التي ضجّت صورتها من الخوف أو القلق الذي يطارده فاستعان بالخمير على دفع ذلك: (59)

أقيمي لنفسك يا نفسُ نعيماً من الصهباء في هذه الدنيا

فمالك من سبيل في حل هذا اللغز الغامض

وفهم ما قاله النوايح من كليم ذي معانٍ

وقد تصلين إلى الموضوع الذي أقامت فيه الجنة وقد لا تصلين

ولا مرء في أن الباحث المتفحص لرباعيات الخيام يجد فيها أنماطاً مثيرة من الحكمة الفلسفية الرفيعة، والأفكار الموحية التي صُبَّت بقوالب جمالية تؤثر في النفس... فظاهرة البرهان؛ وكثرة السؤال؛ وكل ما يطوف في دائرة الشك زاد من جمالية صورته الأخاذة... وإن لم يكن يوماً يهدف إلى هذه الوظيفة الجمالية، وإنما كان يهدف أبداً إلى معرفة حقيقة الوجود وتفسيره ومعرفة أسراره، فوقع عقله في الشك دون اليقين... وانتابه صراع داخلي عظيم أداره في ذلك الحوار الذاتي المدهش؛ وإن كان في الأصل صراعاً خارجياً.

وإذا كان لنا من رأي أخير في هذا المقام فإنه يتماهى مع سر العالم السفلي الذي يدل على العالم العلوي، وعالم الآخرة... والعقل نفسه يثبت هذا، وإلا فإن الشك سيتطرق إلى العقل ذاته لأنه غير ملموس ولا مرئي.. فالموجود بكل آثاره يدل على الوجود غير المرئي... بيد أن الخيام ظل في تأمله الذاتي يدور في حالة من الحلم لحل لغز ذلك الموجود/الحياة: الموت/ فما انتهى إلا إلى الشك... علماً أن ظاهرة الشك تعد محاولة للاستدلال على ما نعتقد به؛ بمثل ما تصبح وسيلة لمعرفة ماهية الحياة والموت وحل لغزهما المحير... وهو ما اهتدى إليه في رباعيته وهي: (60)

من منزل الكفر إلى الدين نَفْسٌ واحد
ومن عالم الشك إلى دنيا اليقين نَفْسٌ واحد
فتعهد بطبيب هذا النفس العزيز
فحاصل عمرنا هو مجرد هذا النفس

فعلى الرغم من أن هذه الرباعية توحى بشدة الشبه بين حال الشك واليقين؛ إلا أنه عرض لهذه الحال بحكمة مثيرة للنفس والعقل حين أبرز القيمة الإنسانية ذاتها في هذه الحياة التي ينبغي أن تستثمر على أحسن وجه.

ولذلك كله كان يقع بين فلسفة العدم التي تستند إلى اغتنام الحياة في اقتناص الشهوات واللذائذ لأن الموت يتربص بالعمى... وبين فلسفة التصوف التي تحدث نوعاً من التوازن الداخلي للإنسان، فالحياة تتضرب هي الأخرى وتموت كما تشير إليها كثير من صور الوجود.. فتستوي مع الموت؛ مما يدعو الإنسان إلى تدبير شأنه...

وحيثما نقدم لهذه الرباعيات بهذه المقدمة راجين أن تفيد القارئ بما حوته؛ فضلاً عن رجائنا الخاص بأنها ستكون عوناً لما بين يديك - أخي القارئ - من كتاب الجيب الذي اخترناه لهذا الشهر.

الحواشي

- (1) انظر كشف اللثام عن رباعيات عمر الخيام 12 - 13 والأعلام 38/5 ورباعيات الخيام بين الأصل الفارسي والترجمة العربية 21. وتاريخ الأدب العربي - فروخ 250/3 - 251 ومختارات من الشعر الفارسي 135.
- (2) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير 98/10.
- (3) رباعيات الخيام بين الأصل الفارسي والترجمة العربية 21 وانظر الأعلام 38/5 وكشف اللثام 13 وتاريخ الأدب الفارسي 13.
- (4) انظر رباعيات الخيام بين الأصل الفارسي والترجمة العربية 26 - 31 والأعلام 38/5 وكشف اللثام 28 وتاريخ الأدب العربي - فروخ 251/3 - 252.
- (5) انظر سفينة البحار 436/1 والكامل في التاريخ 34/10 ومقدمة محسن رمضان لرباعيات الخيام في ثلاثين لغة - وعجائب المخلوقات 126 وآثار البلاد وأخبار العباد 474 - 475 وشذرات الذهب 14/4 ومختارات من الشعر الفارسي 136.
- (6) انظر تاريخ الحكماء 162 وجهار مقالة 63 وتاريخ الأدب العربي - فروخ 251/3 والأعلام 241/2.
- (7) انظر الأعلام 193/2 و202 وكشف اللثام 17 والكامل في التاريخ 74/10 و76 و79 و90 و156 و204 و207 و213 و316 و317 و430 - 431 و477 و527 و528 و625 وشذرات الذهب 77/4 و201.

- (8) انظر الأعلام 255/4 و290 و22/7 و178 وكشف اللثام 17
والكامل في التاريخ 225/10 ومختارات من الشعر الفارسي 135.
- (9) تاريخ الحكماء 162 وانظر الأعلام 33/5 و38.
- (10) انظر جهار مقالة 62 وكشف اللثام 20 و62 وتاريخ الأدب
الفارسي 227.
- (11) انظر رباعيات الخيام بين الأصل الفارسي والترجمة العربية 25
حاشية (1) وشذرات الذهب 224 /4
- (12) و(13) المرجع السابق 24.
- (14) انظر كشف اللثام 34.
- (15) لسان العرب - ختن.
- (16) انظر رباعيات الخيام بين الأصل الفارسي والترجمة العربية 10 -
20 ومختارات من الشعر الفارسي 135 - 136.
- (17) انظر فنون الشعر الفارسي 351 ومن التقطيع الشعري والقافية
117 وتاريخ الأدب في إيران 205 وما بعدها ورباعيات الخيام بين
الأصل الفارسي والترجمة العربية 35 وما بعدها ورباعيات الخيام
- النجفي - 40 وتاريخ الأدب العربي - فروخ 251/3 ومختارات من
الشعر الفارسي 13 - 19 (المقدمة) و 5 و27.
- (18) انظر رباعيات الخيام بين الأصل الفارسي والترجمة العربية 36 -
41 وكشف اللثام 63 - 64 و 126 و200 - 226.
- (19) انظر رباعيات الخيام بين الأصل الفارسي والترجمة العربية 38 -
39 ورباعيات الخيام - النجفي 40 وما بعدها ومختارات من الشعر
الفارسي - المقدمة - 8 - 13.

- (20) انظر رباعيات الخيام بين الأصل الفارسي والترجمة العربية 38 وكشف اللثام 220 - 226.
- (21) و(22) انظر المرجع السابق 38.
- (23) صحيح مسلم 66/17 - 67.
- (24) انظر المرجع الأسبق 41 و68 و124 وما بعدها.
- (25) انظر المرجع السابق 151.
- (26) انظر المرجع السابق 68 و124.
- (27) انظر المرجع السابق 67 وما بعدها و295 وما بعدها.
- (28) مقام المعرفة 132.
- (29) انظر المرجع الأسبق 325 - 326.
- (30) كشف اللثام 35.
- (31) مقام المعرفة 133.
- (32) انظر مقام المعرفة 96.
- (33) انظر كشف اللثام 26 و38.
- (34) كشف اللثام 18.
- (35) تاريخ الحكماء 62.
- (36) رباعيات حكيم خيام نيشابوري 78 وانظر رباعيات الخيام بين الأصل الفارسي والترجمة العربية 307 و331.
- (37) رباعيات الخيام بين الأصل الفارسي والترجمة العربية 143 - 144 وتطابقها في رباعيات الخيام - التل - الرباعية 7/30 ص 95؛ ومثلها 7/29 ن ص 94 وكذلك مثلها عند التل: من 96 - 101.
- (38) شروح سقط الزند 974 - 975.
- (39) رباعيات الخيام - النجفي - 35.

- (40) انظر رباعيات الخيام بين الأصل الفارسي والترجمة العربية 307
و331 - 332.
- (41) انظر المرجع السابق 324.
- (42) رباعيات الخيام - التل - 67؛ وهي الرباعية 58 عند النجفي
ص 94.
- (43) رباعيات الخيام - النجفي - 43.
- (44) المصدر السابق 77.
- (45) انظر رباعيات الخيام بين الأصل الفارسي والترجمة العربية 318.
- (46) شروح سقط الزند 1004.
- (47) إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر - شعر ودراسة - 193 وانظر
حاشية (70) و(78)
- (48) رباعيات الخيام - التل - 79.
- (49) المرجع نفسه 84.
- (50) نفسه 78 وانظر رباعيات الخيام بين الأصل الفارسي والترجمة
العربية 325.
- (51) شروح سقط الزند 1005.
- (52) انظر رباعيات الخيام بين الأصل الفارسي والترجمة العربية 147.
- (53) رباعيات الخيام - أحمد رامي 61.
- (54) المرجع السابق 63، وانظر المرجع الأسبق 148 - 149.
- (55) رباعيات الخيام - أحمد رامي - 110 ورباعيات الخيام بين الأصل
الفارسي... 152
- (56) انظر ديوان طرفة بن العبد 29 - 34.

- (57) رباعيات الخيام - التل - 75 وانظر فيه مثلاً 76 و80 و83 و100 -
.111
- (58) تاريخ الأدب الفارسي 88 وانظر مثلاً في المرجع السابق 88 و89
و91...
- (59) رباعيات الخيام - التل - 81 وانظر - مثلاً - فيه 93 و92.
- (60) رباعيات الخيام بين الأصل الفارسي والترجمة العربية 118 وهي
الرباعية رقم 95/91 في رباعيات الخيام - التل - ص 156 وسنقف
عندها ثانية في حاشية (88)، وانظر فيه - مثلاً آخر - 138.

رباعيات عمر الخيام

مدخل

الكتابة في النقد والدرس لون من ألوان الأدب وإن كان بعضهم يرى أن النقد دون الأدب المصروف من شعر وقصة ووصف وفكر؛ لكن هذا النقد الذي هو تشریح للشخصية الأدبية، ووصف دقيق يحصي عليها أخطاءها، وما صلح من إنتاجها، وآثارها، يصبح شيئاً صعباً جداً حين يتعرض الكاتب الناقد لشخصية من لغة أجنبية لا يستطيع درسها وفهم ما فيها إلا عن طريق النقل والترجمة لأن شرط النقد الصحيح هو الفهم الصحيح لما يكتبه الأديب الذي يراد درسه، والفهم يشترط أن يكون الناقد مطلعاً على لغة المنقود عارفاً بها، واقفاً على أسرارها وهذا لا يتيسر إلا إذا كان الناقد والمنقود يتكلمان لغة واحدة، فإذا لم يتوفر هذا الشرط فإن النقد يصبح ناقصاً لأنه يصبح ناشئاً عن حالتين: إما أن يكون الدارس الناقد عارفاً بلغة الأديب الأجنبية معرفة تختلف قوة وضماً حسب ثقافة الكاتب، أو أن يكون اطلاعاً على لغة الشخصية الأدبية عن طريق ترجمة ما يكتبه الأديب الأجنبي إلى لغة الناقد، وكلتا هاتين الطريقتين أعني معرفة اللغة

الأجنبية أو القراءة عن طريق النقل والترجمة، وسيلة ناقصة لا تؤدي إلى الغرض المطلوب إلا أداء ناقصاً مبتوراً أو أداء خاطئاً تبعاً لصعوبة فهم اللغة الأجنبية مباشرة أو في الترجمة، وكلاهما يؤثر في صحة النقد وإظهاره تماماً كاملاً.

والنص الأدبي، والفني منه بصورة خاصة، مرتبط ارتباطاً روحياً بلغة كاتب النص فلا يمكن والحالة هذه أن يفهم ما فيه من معنى أو صورة أو لمحة إلا بلغته الأصلية، لأن الفن في الكتابة ليس قاصراً على المعاني والأفكار لأن هذه الأفكار لا توجد وحدها مجردة منفصلة عن الخيال واللمحات والومضات الفنية التي تعطيها الألفاظ المنجحة، كما نسميها اليوم، وهي الألفاظ التي تحمل من المعاني أكثر مما يستوعبه اللفظ، وأوسع مما يتسع له الكلام العادي، وهذه الأمور التي ترافق المعاني والأفكار تكون متناسقة مع اللغة التي تكتب بها، فهي مرتبطة بروح اللغة، وهي التي لا يمكن نقلها من لغة إلى أخرى، فالروح الفنية *Esprit* لا يمكن نقلها عن طريق الترجمة وإذا لم تنقل هذه الروح فإن الترجمة تكون ناقصة نقصاً كبيراً، وتكون بذلك المادة التي تنقل إليك عما يكتبه الأديب الأجنبي مبتورة بحيث أنك تأخذ صورة لهذا الأديب ناقصة نقصاً يجعل معرفتك به خاطئة منقوصة.

هذا الخطأ الذي أشرنا إليه يختلف في النقل بين النثر والشعر، فالنثر لا يحتوي اللمحات الشعرية التي يعتمد عليها الشعراء في التعبير عن أفكارهم، والصور الشعرية قليلة في النثر، لأن النثر يعتمد على الفكر ليؤدي المعاني التي يريد الكاتب تأديتها، وهذه يمكن نقلها

بسهولة، والمعاني، كما لا يخفى في الكتابة النثرية هي الجزء الأكبر منه، ولا يبقى من النثر، مما لا يمكن نقله إلا شيء واحد، أو قسم واحد - هو الأسلوب، فأسلوب الكاتب لا يمكن نقله من لغة إلى أخرى، لأن الأسلوب يتعلق بالرجل الكاتب من جهة، كما يتعلق من جهة أخرى باللغة التي يكتب بها الكاتب - والأسلوب كما نقدر علاقة روحية موسيقية يعبر عنها الجرس الذي تحمله الحروف حين تتلاقى في الكلمة الواحدة، وحين تتلاقى هذه الكلمات في الجملة النثرية الواحدة، وحين تجتمع هذه الجمل النثرية الكتابية لتكون الموضوع المكتوب الذي أملاه فكر الكاتب الموهوب.

هذا في النثر، وأما في الشعر فالأمر أصعب وأعقد، لأن ما ينقل من الشعر أقل بكثير مما يظل منه غير قابل للنقل، فإذا جئت بالترجمة لنص شعري من لغة أجنبية تكون كالذي ينقل قدحاً من الماء من خابية ملاءى لا ينقص منها شيئاً ولا يؤثر فيما تحويه، فقد يمكن للناقل أو المترجم أن ينقل معنى كل كلمة على حدة، والكلمات في اللغات المختلفة مهما تقاربت معانيها فهي لا تؤدي المعنى المقابل كاملاً غير منقوص ولا مبتور، لأن بينهما خلافاً دقيقة جداً، وهي خلافاً لا شعورية لا يستطيع القارئ أن يعبر عنها، وهي الفروق التي تدعى بالفرنسية Nuance ومن هنا يأتي الخطأ في النقل، ثم هناك الخيال والنغم الشعري، وطريقة التعبير، مما لا يمكن للقارئ الأجنبي أن يلم به إلا من بعيد، لذلك فإن كل ما تقرؤه من تراجم للشعر، لا يؤدي لك كل ما في الشعر المنقول - فهناك عناصر فنية لا يمكن نقلها من لغة إلى لغة أبداً مهما حاول الناقل أو المترجم، ومهما

بذل من جهد. وخذ مثلاً قصيدة "البحيرة" للامارتين الشاعر الفرنسي المعروف، فقد ترجمها كثيرون ولكنك إذا قرأت هذه الترجمات على اختلافها شعرت وأنت تقرؤها أنك تقرأ غير ما قاله الشاعر، وأن ما يأتيك من هذه الترجمة هو الهيكل العظمي للقصيدة هذا الهيكل الذي لا يحتوي شيئاً من اللحم أو الدسم أو الطعم، وقد ترجم الشاعر اللبناني الياس فياض قصيدة البحيرة هذه شعراً فقال في مطلعها:

أهكذا تتقضي دوماً ليالينا نطوي الحياة وليل الحب يطوينا

ولو رجعت إلى النص الفرنسي لوجدت الخلاف كبيراً بين الأصل والترجمة، وفضلت ألف مرة أن تقرأ النص الأصل، إن كنت مطلعاً على اللغة الفرنسية، لأنك باطلاعك على الأصل تعود إلى الجو الذي أراده الشاعر من نظم هذه القصيدة، هذا الجو الذي يضم عناصر كثيرة شعرية هي التي لا يمكن أن ينقلها الناقل المترجم مهما بذل من جهد جهيد. لذلك نرى المترجمين يعمدون إلى ترجمة الشعر الأجنبي إلى النثر في لغتهم، لأن المحافظة على الوزن في الشعر شيء غير ممكن في اللغة التي يترجم الشعر إليها، ويكفي هذا لتكون القصيدة المنقولة بعيدة عن أصلها ما دام قد فارقتها الوزن والنغم. ولهذا رأينا طه حسين يترجم بودلير وسوللي يرودوم الفرنسيين إلى النثر وكذلك فعل الزيات في ترجمة لامارتين في قصة رافائيل وفي قصائد الشاعر الأخرى، وقد أذهبت الترجمة القسم الأكبر من روح الأصل.

وليست كل اللغات الأجنبية سواءً في صعوبة نقلها إلى اللغات الأخرى، لأن هناك لغات متقاربة في أصولها وجذورها بينما هناك لغات بعيدة بعداً شاسعاً عن اللغات المراد النقل إليها، فاللغة الإنكليزية،

مثلاً بعيدة عن العربية بحيث يصعب نقلها ، ولكن هذه اللغة – الإنكليزية – يمكن نقلها بسهولة إلى اللغة الفرنسية ، لأن اللغتين متقاربتين ، وهكذا وجدنا الكاتب الفرنسي "أندره موروا" وهو من الضليعين باللغة الإنكليزية ينقل آثار بيرون وشللي الشعاعين الإنكليزيين إلى اللغة الفرنسية بيسر وسهولة حتى أنه استطاع نقل أشعارهما موزونة محافظة عن الأسلوب الأصلي لأن الأسلوبين في اللغتين متقاربان ، ونحن نعلم أن الكلمات في اللغة الإنكليزية والفرنسية تتفق في أصولها وإن اختلفت في نهاياتها ، لذلك يقال إن من السهل على الإنكليزي أن يتعلم اللغة الفرنسية والعكس صحيح أيضاً ، بينما يصعب ذلك على العربي أو الهندي أو الأندونيسي ومن هنا ، فإن اللغة العربية يسهل نقلها إلى اللغة الفارسية والتركية والكردية والأفغانية لأن هذه اللغات قريبة من اللغة العربية ولأن كلماتها فيها الكثير من الأصول العربية ومخارج الحروف فيها جميعها متشابهة متقاربة ، وخاصة بين الفارسية والتركية والعربية ، ومن هنا أيضاً وجدنا أن الكثيرين من الشعراء الفرس والأتراك قد نظموا وكتبوا باللغة العربية وحفظوا القرآن الكريم وتدارسوه بيسر وسهولة ، وكذلك كثير من الشعراء العرب الذين كتبوا باللغة التركية والفارسية بعد أن تعلموها وأصبحوا ينافسون بها أبناءها الأصليين.

أتينا بهذه المقدمة التي لم يكن بد منها لكي نتدارس الشاعر الفارسي الإيراني الشهير عمر الخيام الذي طبقت شهرته الأوساط الأدبية في العالم أجمع ، والذي ترجم شعره إلى أكثر لغات العالم

وبخاصة اللغة العربية، حتى لقد كانت أشعار هذا الشاعر موضعاً للتنافس بين المترجمين من دارسي اللغة الفارسية، وحتى بلغت الترجمات العربية لهذا الشاعر عدداً يتجاوز العشر عدداً، ولقد اختلفت الترجمات العربية للخيام بين نثر وشعر، وبين التزام وتحلل أو تجاوز، فمن هؤلاء المترجمين من تقيد بترتيب أشعار الشاعر حسبما وجدت في الأصل، ومنهم من انتقى منها ما يعجبه مقتصراً على جزء من مجموعة شعر الشاعر ومنهم من اكتفى بالنظم العربي ولم يلتزم بحراً واحداً وقافية واحدة بل ترك لنفسه الخيار والحرية لاعتقاده أن ذلك أعود بالفائدة وأقرب إلى الواقع وأسهل في النقل، ومن المترجمين من نقل أشعار الخيام إلى اللغة العربية نثراً مهملاً الأسلوب الشعري وعندي أن هذه الطريقة الأخيرة طريقة ناقصة لأنها تضيع الكثير من عبقرية الشعر الأصيل، لأن الشعر غير النثر في كل أوصافه ومميزاته.

يضاف إلى كل ما سبق أن دراسة الشخصيات الأدبية تحتاج عدا اللغات، أموراً أخرى كثيرة لا تصح الدراسة إلا بها، فهي تقتضي أن يكون الدارس الناقد له صلة فنية أدبية بالشخصية المراد درسها مع معرفة صفاتها الأصيلة وخطوط صورتها الواضحة، فالكاتب الذي يدرس شخصية شاعر من الشعراء، لا بد أن يكون متمتعاً بالإحساس الشعري والتذوق الفني إن لم يكن شاعراً بالفعل. وقد دلتنا التجارب النقدية على أن النقاد الذين ينظمون الشعر ويتمرسون بهذه الصناعة هم أكثر النقاد توفيقاً في دراسة الشعراء، لأنهم أقرب الناس إلى تحسس الشاعرية ومعرفة بواعثها وما يعترئها من مؤثرات تبعث الشاعرية في نفس الشاعر، وهذا شيء طبيعي لأن غير الشاعر لا يقدر

البيت الشعري ولا يثمن نجاحه أو فساد، ولهذا وجدنا العقاد والمازني أكثر النقد توفيقاً في الحركة الأدبية المصرية في عصرنا هذا. ومن يقرأ نقد العقاد لشوقي والمتنبي وابن الرومي يتأكد مما قلت. وكذلك من يقرأ نقد المازني لحافظ إبراهيم وابن الرومي وبشار بن برد يجد النتيجة نفسها، لأن العقاد والمازني اشتغلا في نظم الشعر وعانياه معاناة كبيرة معروفة في دواوينهما التي تركاها وبخاصة العقاد الذي ترك تراثاً كبيراً من الشعر.

ومن ناحية أخرى لقد وجدنا الدكتور محمد حسين هيكل، الكاتب والصحفي الكبير لا يوفق إلى شيء حين درس الشاعر شوقي في المقدمة التي كتبها لديوان الشاعر "الشوقيات" لأن هيكل بعيد عن الشعر والشعراء، وربما لم يستطع أن يقرأ قصيدة واحدة متأملاً متفحصاً، لأن قراءة الشعر ليست من عمله الذي خلق له، ولأن هيكل لا يعرف بواطن الشاعرية، وبواعثها، وكذلك طه حسين الذي سماه بعضهم رجل النقد الأول في مصر، ونراه نحن مؤرخاً للأدب، فهو يهتم بالتاريخ ويتحسس التطور التاريخي أكثر مما يتحسس الهاجس الشعري والإلهام الفني، ولهذا نراه حين كتب أبا العلاء، قد كتب كل شيء ما عدا شاعرية أبي العلاء، وفي كتابه "مع المتنبي" لم يوفق إلى مواطن الجمال الفني عند الشاعر الكبير رغم أن شاعرية المتنبي لا تحتاج إلى كثير من الإجهاد والتعب ولقد خرج من مرافقة المتنبي بحقيقة تدعو إلى الاستغراب وهي أن الشاعر كغيره من الشعراء ليس له امتياز ولا تفوق ولا عبقرية تجعله في مكان مفرد وضعه فيه النقد العرب في كل العصور. ومما لا شك فيه أن طه حسين قد تأثر بأقوال

المتنبي القديمة في أهل مصر يوم هجا كافور الأخشيدي واتهمهم بالغفلة والإغضاء على الذل والسكوت على الإهانة من عبد أسود ككافور الذي وصل إلى الحكم عن طريق الحيلة والغدر والخيانة لأولياء نعمته وأصحاب الفضل عليه الأخشيديين - ناسياً أن العهد قد تغير، وأن أهل مصر اليوم غيرهم بالأمس، وأن كلام الشاعر المحنق الغاضب الذي، يسعى إلى الثأر في الهجاء لا يمكن أن يؤخذ على أنه حقيقة دامغة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا خلفها. ومثل هذا الخطأ ارتكبه طه حسين حين تعرض للكتابة عن الشاعرين شوقي وحافظ بعد وفاتهما فقد رأى أن شوقي كان المتقدم في أول شبابه ثم تأخرت به الشعاعرية بعد أن وصل إلى مرحلة الكهولة والشيخوخة. وأن حافظاً، كان على العكس - لقد بدأ صغير الشعاعرية مختصرها - ثم تقدم في الشعر بعد أن تقدمت به السن حتى تفوق على صاحبه شوقي - وهذا كلام يخالف الحقيقة حتى في رأي طلاب المدارس ممن يقرؤون الشاعرين قراءة صحيحة، والحقيقة التي لا مرية فيها أن شوقي بدأ شاعراً كبيراً ثم ألته مشاغله مع الملوك والأمراء في القصور وواجباته نحو هؤلاء ممن كانوا يتعهدونه تربية وتعليماً وإنفاقاً وإعزازاً - ثم بعد أن رجع من منفاه في إسبانيا أطلق لشاعريته العنان فتقدمت كما يتقدم الجواد الأصيل يطلق من قيده ليسابق الريح، وهكذا فقد نظم شوقي في كهولته قصائده في شخصيات مصر القديمة، والحديثة، ونظم تمثلياته الرائعة ونظم قصائده الوطنية في لبنان ودمشق والعراق، فلم يترك بلداً إلا وحياء بقصائد تبقى خالدة على الدهر بما حوته من معان جديدة، وصور حديثة مخترعة وأسلوب غنائي رائع حتى عد بحق أكبر شعراء هذا العصر بل العصور التي تلت المتنبي حتى

يومنا هذا. وهو الذي قال بحقٍ في مهرجانه الذي أقيم لتكريمه
عام 1927:

وهبوني الحمام لذة سجع

أين فضل الحمام في تحنانه

وتر في اللهاة ما للمفني

من يد في صفائه وليانه

كان شعري الغناء في فرح الشرق وكان العزاء في أحزانه:

كلما أن في العراق مريض

لمس الشرق جنبه في عمانه

وعلينا كما عليكم حديد

تتزي الليوث من قضبانه

هذا بينما نرى حافظاً يتقدم في الشهرة أول شبابه يوم كان
يتكلم باسم اللغة العربية مدافعاً عنها قائلاً:

رموني بعقم في الشباب وليتني

عقمت فلم أجزع لقول عداتي

أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن

فهل سألوا الغواص عن صدقاتي

أو يوم كان يقول:

وقد وقفت على الستين أسألتها
أسوفت أم أعدت حُرّاً كفاني
ولّى الشباب وجازتني فتوته
وهدم السقم بعد السقم أركانني
كم من صديق نأى عني فأحزنتني
وكم حبيب مضى عني فأبكاني
إذا تصفحت ديواني لتقرأني
وجدت شعر المراثي نصف ديواني

ثم استسلم حافظ إلى الوظيفة في دار الكتب، وعندما أحيل
على المعاش كان قد أجبل وضلّت شاعريته، فأخذ يقول مثل هذا
القول في رثاء المنفلوطي:

رحم الله صاحب النظرات

غاب عنا في أخرج الأوقات

وهو كلام أشبه بكلام الصحفيين في أخبارهم اليومية، أو مثل
قوله في رثاء سعد زغلول:

أيها الليل هل شهدت المصابا

كيف ينصب في النفوس انصبابا

وهو كلام بعيد عن العاطفة الصادقة التي يلهمها الشعراء في
بكاء الأصدقاء.

بعد كل ما مرّ فإن النقد الصحيح يتطلب رأياً صحيحاً خالياً من
الشوائب وهذه الشوائب تتلخص في عدم الإخلاص للعمل والحياد التام
والموضوعية المطلقة؛ بمعنى أن على الناقد أن لا يلجأ إلى عواطفه من
كره أو بغض أو تفضيل أو تحيز، وأن يدرس الشاعر أو الأديب الذي
يريد وكأنه موضوع أمامه على منصة أو لوحة يرى منها كل شيء فيه.
فطه حسين نقد المتبني لأنه حاقده عليه من أجل قوميته المصرية، وفضل
حافظاً على شوقي في أخريات أيامهما لأن الدكتور كان يحب حافظاً
أكثر مما يحب شوقياً، ولهذا قال فيهما حين ماتا: وفارقت مصر شوقياً
فراق المعجب وفارقت حافظاً فراق المحب، ومن هذا النقد الجائر الذي
لا يعتمد عليه، نقد العقاد لشوقي لأن العقاد كان معقداً من ناحية
شوقي وكان يريد أن يرقى إلى الشهرة عن طريق تجريح شوقي، وأوعز
لصديقه المازني أن يجرح حافظاً، ولقد أنصفهما شوقي في نقدهما هذا
حين تعرض لهما في رثائه حافظ إبراهيم بقوله الرائع المنصف:

ووددت لو أنني فذاك من الردى

والكاشحين المرجفين فدائي

من كلّ هدام ويبني مجده

بكرائم الأنقاض والأشلاء

ما حطموك وإنما بك حطموا

من ذا يحطم رفرف الجوزاء

على هذه الأسس نود أن ندرس الشاعر الكبير عمر الخيام الذي كان وما يزال أقرب الشعراء الفرس إلى العرب، بما يمكن اعتباره من أوسع الشعراء العالميين شهرة، لأنه ترجم لأكثر لغات العالم انتشاراً، ولأن ترجماته العربية قد أصبحت تشكل أدباً خاصاً يمكن أن نسميه "بالأدب الخيامي". فقد تغنى به المغنون واختص به الدارسون، وعلى هذا فإنه يمكن أن يعتبر شاعراً عربياً إلى جانب كونه، فارسياً من أبناء جيراننا الأقربين تاريخاً وعقيدة.

حياة عمر الخيام:

اسمه المفصل: غياث الدين أبو الفتح عمر، ولد سنة 1051م وتوفي عام 1132 للميلاد، شاعر فارسي الأصل، لا بل هو أشعر شعراء الفرس عند الغربيين خاصة، مع أن الفرس أنفسهم يرون أن هنالك من يتقدم عليه في ميدان الشعر، وعلى رأس هؤلاء الفردوسي الذي نظم "الشاهنامة" وهي قصيدة من نوع الملاحم تقع في ستين ألف بيت من الشعر تحدث فيها عن تاريخ الفرس منذ القديم، وقد تعرض فيها للعرب بما لا يرضيهم، ثم هناك سعدي وحافظ الشيرازي وجلال الدين الرومي وهم يعتبرون في نظر الفرس أعلى كعباً في الشعر من عمر الخيام. كان الخيام عالماً من علماء الرياضيات، وشاعراً من الموهوبين وقد غلب عليه الشعر فعرف به رغم أنه عمل في حقل الرياضيات وتوصل إلى اكتشافات ما زال التاريخ يحفظها له فقد توصل إلى حل معادلات الدرجة الثانية بطرق هندسية وجبرية، ونظم المعادلات وحاول حلها، وقد كلفه الملك السلجوقي الذي عاش في ظلّه أن يصلح التقويم

الفارسي القديم، كما وضع طريقة لمعرفة الكثافة النوعية - ووضع الزيج المشهور الذي عرف بالزيج "الملكشاهي" نسبة إلى ملك شاه السلجوقي، كما أن له مؤلفات عديدة غير الشعر وأكثرها في فلسفة الرياضيات مثل كتابه "شرح ما أشكل من كتاب اقليدس ومختصر في الطبيعيات" ورسالة: في الكون والتأليف. ولكن هذه المؤلفات كلها لم تفتح له باب الشهرة وإن كان معروفاً بين أبناء جلدته، لأن شهرته انبتت أخيراً عن شاعريته الكبيرة التي أعجب الناس بها وخاصة الغربيون.

لقد نظم الخيام شعره معتمداً على وحي شاعريته، فلم يستعر من أحد شيئاً وكان له رأي خاص في الحياة - وهو رأي قريب من الوجودية، أو من مذهب اللذة المعروف في الفلسفة، وبعضهم يجعله بين الشعراء المتشائمين لأن له أبياتاً تجعله في هذا الصنف، ومن الصعب جداً أن يحدد الناقد اتجاهات الشاعر كلها لأن هذه الاتجاهات قد تكون متناقضة، هذا من جهة، ثم إن الشعراء لا يثبتون على حال واحدة مدة حياتهم كما تكون الحال عند الفلاسفة مثلاً. فالشاعر دائم الاضطراب، ينتقل في أفكاره بين ناحية وأخرى، وقد رأينا كيف أن أبا العلاء ترجح بين الإيمان والإلحاد، فعده بعضهم صوفياً في تدينه وعده بعضهم الآخر ملحداً، وقد يجتمع الصوفي والملحد عند أبي العلاء لأن أبا العلاء شاعر أشبه بتلك الريشة التي وصفها المتنبي بقوله:

كريشة في مهب الريح طائفة

لا تستقر على حال من القلق

وهذا بودليير الشاعر الفرنسي المعروف، لقد حار النقاد كيف يصنفونه وإلى أي مدرسة شعرية ينسبونه، فمنهم من جعله من البارناسيين إلى جانب ليكونت ده ليل وسوللي برودوم وغيرهما، ومنهم من جعله رمزياً أقرب إلى فيرلين ورامبو، ومنهم من صنفه رومانتيكياً، ولكن بودليير، مع ذلك، ظل مستقلاً فيه من كل هؤلاء وليس واحداً منهم.

وهكذا كان عمر الخيام، كان مولعاً بالنجوم بحكم مهنته الفلكية، وكان صحيح الفكر لأنه رياضي ذو فكر منظم، فإذا خلا بشاعريته، ترك القواعد وحلق في السماوات ليتحدث إليك حديث الشاعر الذي لا يرتبط بقاعدة ولا يخضع لقانون واحد.

الذي يرويه التاريخ، أنه درس في مدرسة شهيرة كانت في بلدة "جنديسابور" وأنه كان زميلاً لنظام الملك الوزير وحسن الصباح الداعية الإسماعيلي الشهير صاحب قلعة الموت "وكر العقاب" ولعل صداقته مع نظام الملك جاءت من هذه الزمالة التي ربطت بينهما في أيام المدرسة. ويروي التاريخ أن الثلاثة: الصباح ونظام الملك والخيام قد تعاهدوا على أن يساعد الموفق منهم في قابل الأيام رفيقه الآخر بكل ما يستطيع، وقد خرجوا من جنديسابور على هذا الأساس. ويقال إن نظام الملك الذي يسعى إلى قتله أخيراً حسن الصباح قد قُتل لأنه لم يبر بوعده. ولم يساعد الصباح في حياته الدعائية التي سار عليها حين ارتبط بالفاطميين وأصبح داعي الدعوة لهم.

إن عمر الخيام، غياث الدين أبا الفتح، قد اختلف المؤرخون في المكان الذي ولد فيه فقد قيل إنه ولد في: نيسابور عاصمة خراسان

حوالي 433هـ (1040م)، وقد عرف ثلاثة سلاطين من السلاجقة أولهم ارطغرول وهو أول الملوك السلاجقة، وعرفه الناس بزمن السلطان السلجوقي "ملك شاه" وانتهت حياته في عهد السلطان "سنجر" السلجوقي أيضاً في عام 517هـ (1123م) وشمشاد التي قيل إنه ولد فيها تابعة لبلدة "بلخ" الشهيرة التي أخرجت الكثير من العلماء، ولكن من المؤرخين من يقول إنه ولد في قرية "بسنگ" من أعمال "استراباد". ولكنه قضى أطول مدة من عمره في نيسابور، فيها درس وفيها مات، ولا يزال قبره معروفاً فيها. ولقد دار الكثير من القصص والحكايات حول حياة هذا الرجل الخيام وعزيت إليه أقوال وتنبؤات، وكان للناس فيه اعتقاد كاعتقادهم بالأولياء حتى لقد دعوه: حجة الحق، وقد قرنه بعضهم بابن سينا وإن كان البعد ظاهراً بين سلوك الرجلين، كما نسبت إليه بعض الأعمال التي تشبه المعجزات، وهي أشبه بتلك المبالغات التي عزيت إلى أبي العلاء، من قوة الحافظة وشدة الانتباه مما لا يمكن أن يصدق، لأنه لا يعقل أن يصدر عن بشر، فقد قيل مثلاً إن الخيام تأمل كتاباً كاملاً سبع مرات فحفظه ثم أملاه، وهذا في رأينا أمر مبالغ فيه إن لم يكن كذباً مصنوعاً. وقد نسب إليه الفقه والحكمة والفلسفة والإلهيات، أما العلماء والمؤرخون العرب فقد جروا في تعريف الخيام على طريقتهم التي لا يستطاع أن يفهم منها شيء يفيد، فتعاريف هؤلاء تعتمد على السجع ونظم الكلام المنثور جملاً مشتركة القوا في كما فعل القفطي في كتابه الشهير "تاريخ الحكماء" الذي ألفه عام 640هـ. قال يعرف عمر الخيام: عمر الخيام إمام خراسان، وعالمة الزمان، يعلم علم "يونان ويحث على طلب الواحد الديان" فما الذي يفهم من هذا؟ إنه كلام لا أكثر ولا أقل.

ولقد كتب عنه عدد كبير من المؤرخين من مثل: ابن الأثير المؤرخ المعروف في كتابه الشهير "الكامل في التاريخ"، الذي ألفه عام 628هـ و: زكريا القزويني في كتابه "آثار البلاد وأخبار العباد" المؤلف عام 674هـ وذكر في كتاب "جامعة التواريخ" لرشيد الدين فضل الله وفي "تذكرة الشعراء" لدولة شاه بن علاء، وكلهم أثنى عليه ونسب إليه عدداً من الاختصاصات العلمية وأهمها الحكمة والفلك والفقه.

ولقد كنا أشرنا إلى الزمالة التي قامت بين نظام الدين الوزير المعروف وعمر الخيام وحسن الصباح، ولكن هذه المسألة يدحضها التاريخ والواقع، فقد توفي الخيام عام 517هـ، وتوفي الصباح عام 517هـ أيضاً؛ وكان نظام الملك قد ولد عام 408هـ فالفرق كما يبدو مئة وعشر سنوات وهذا الفرق الكبير يجعل من المستحيل أن يكون الثلاثة زملاء في الدراسة، فالقصة كلها إذن من وضع المؤرخين خاصة وإن حسن الصباح قد يكون شخصاً أسطورياً بما نسب إليه من أعمال خارقة، فقد قيل إنه ظل عشر سنوات لم يتكلم، وقيل إنه ظل في قلعة "الموت" و"كر العقاب" ثلاثين سنة لم يغادرها، وقيل إنه قتل ابنه لأنه شرب الخمر. لهذا فنحن نشك كثيراً في أن يكون الصباح قد عاصر نظام الملك، وإنما هو قد عاصر الخيام وحده، وكاننا صديقين على ما يبدو. ثم فرقت بينهما الأيام. ومع ذلك فالتاريخ يقول، كما جاء في تاريخ ابن الأثير "الكامل" إن الصباح جاء إلى نظام الملك يطالبه بأن يفي بوعده الذي اتفق عليه الثلاثة في جنديسابور، فرحب به نظام الملك وعرض عليه وظيفة كبيرة في القصر فقبلها الصباح على مضض ثم أخذ يتقرب من السلطان ملكشاه السلجوقي وراح يدس على

صديقه نظام الملك ويسود صحيفته عند الملك، فعلم نظام الملك بهذا وهرب حسن الصباح حين اكتشف أمره، ومن الغريب أن يكون موت نظام الملك على يد صديقه الصباح، لقد وجد في فراشه مقتولاً بخنجر مسموم وقد كتب على الخنجر: حسن الصباح.

ويحسن بنا هنا أن نتحدث قليلاً عن هذا الرجل - حسن الصباح الذي أخذ عنه الخيام الكثير من الأفكار الدينية والباطنية التي كان لها بعض الأثر في أشعاره الرباعية التي نحن بصدد الحديث عنها.

كان حسن الصباح شخصية غريبة الأطوار عجيبة الطباع؛ رجل طموح طامع يحب السلطة والسعي للحصول عليها بأية طريقة كانت، فالغاية عنده تبرر الوسيلة. لقد عرفنا أنه عمل عند نظام الملك أول أمره فلما انكشف خداعه عند نظام الملك فر هارباً إلى أصفهان ومنها إلى مصر، وكان الفاطميون قد أسسوا خلافتهم في مصر عام 953م حين فتح المعز لدين الله أرض مصر وانتزعها من يد الاخشيديين، وفي عام 959م وفي أيام الحاكم ابن المعز تأسست "دار الحكمة" ومحفلة السري وكانت غايتها بث التعليمات الباطنية.

ولقد عاش حسن الصباح - ومعه عمر الخيام في أيام الخليفة المستنصر بالله والمستعلي الأمر بأحكام الله وهو حفيد الحاكم بأمره. لقد درس حسن الصباح أسرار الدعوة الباطنية في دار الحكمة في مصر، ولهذا الرجل شخصية عجيبة غامضة، ويبدو أنه كان يتحلّى بصفات نادرة من حيث الفصاحة والشجاعة وسرعة البادرة ودقة التنظيم وقوة الإقناع مما أهله ليكون أشبه بالمعبود بالنسبة لجماعته

الذين كانوا يطيعونه حتى الموت، وقد استغل الفاطميون هذه المؤهلات عند الصبّاح فأسندوا إليه وزارة "داعي الدعاة" أي وزير الدعاية كما يمكن تسميتها هذه الأيام، وقد أيقنوا بقدرة الصبّاح على الاضطلاع بهذه الوظيفة فزودوه بتعاليم الباطنية وأوفدوه إلى البلاد العربية وفارس ليؤسس الفروع وينشر مبادئ الإسماعيلية والقرامطة والمزدكية والباطنية، وجميع هذه الاتجاهات تؤدي إلى غايات لم يحددها التاريخ تماماً، ولم يشر إلى غاياتها والمقصود منها. ولكن مما لا شك فيه أنه كان هناك خلاف كبير بين العقلية الفارسية والعقلية العربية، وهذا خلاف يتناول الدين والخلافة والسياسة والاجتماع، وقد رأينا الحركات المتعاقبة منذ نشأة الخلافة العباسية التي شارك فيها أبو مسلم الخراساني ممثلاً للجانب الفارسي ثم حركات البرامكة ثم ما كان يتحدث به الشعراء من مثل ابن يسار وغيره من الشعراء ورجال اللغة ورواة الشعر الذين ساهموا في هذا الخلاف كل على قدره، مما يدل على وجود هذا الخلاف في العقيدة والمبدأ.

كانت الطوائف السرية الباطنية قد ضعفت بعض الشيء بالنسبة للسياسة التي عاصرتها، فلما عاد الصبّاح من مصر بعثها من جديد وأسس لها فرعاً تحت إدارته عرف فيما بعد بـ"الحشاشين" نسبة إلى أعضاء هذه الجمعية الذين يروى عنهم أنهم كانوا يتعاطون مادة الحشيش قبل الإقدام على تنفيذ الأعمال الخطيرة التي كانت تطلب منهم، ولقد حاول بعض الحكام في زمن حسن الصبّاح ومنهم صلاح الدين الأيوبي أن يسيطروا على الإسماعيليين ثم اضطر لمصالحتهم

لاعتقاده بخطرهم وبالنظر إلى ما لهم من سلطة مطلقة عجيبة على
اتباعهم الذين كانوا يرتكبون كل ما يطلب منهم دون تفكير أو
تردد، ولقد خاطبه راشد الدين بن سنان نائب الصباح في قلعة مصياف
بهذه الأبيات التي تدل على الاعتداد بالقوة وعدم الانصياع لأي تهديد
من ملك أو أمير أو خليفة، يقول هذا النائب:

يا للرجال لأمرهال مفضعه

ما مرّ قط على قلبي توقعه

قد قام قفّاً إلى قافٍ يعضعه

كضفدع تحت صخر رام يقلعه

من أين أنت لضرب السيف يا لكع

ما أنت إلا مال قمت تجمعه

إننا مَنَحْضَاك ثوباً للحياة فإن

كنت الشكور وإلا سوف نخلعه

وكان الصباح إذا أراد اغتيال قائد أو حاكم أرسل فدائياً
متحمساً من هؤلاء فيدخل عليه في غرفة نومه ويطنه بخنجر مسموم
فيقضي عليه ثم يترك الخنجر بجانب القتيل وقد نقش عليه: حسن
الصباح.

كانت عاصمة الصباح قلعة "الموت" وتعني "وكر العقاب أو
النسر" وهي تقع في الجبل بالقرب من طهران، ونحن نشك في قضية

تعاطي الحشيش من قبل هؤلاء، لأن من يقدم على ما كانوا يقدمون عليه لا بد أن يكون خاضعاً لتربية شديدة قاسية، ولا بد أن يكون صبوراً على الجوع والعطش وممتنعاً عن الملذات، ثم كيف نجتمع بين هاتين القصتين، فقد قيل أن شيخ الجبل الصباح قتل ابنه لأنه شرب الخمرة. فكيف يسمح وهو بهذا التعصب الديني الأخلاقي بأن يتعاطى الحشيش أتباعه، إنها كذبة كبيرة تناقلها الشرق والغرب حتى قيل أن كلمة "Assasins" الفرنسية ومعناها القاتل مأخوذة من كلمة "حشاش" لتشابه اللفظ في الكلمتين وهو ما لا نعتقد. أما ما تحدثوا عنه، وأعني المؤرخين من أمثال جرجي زيدان وغيره من المؤرخين العرب القدامى والمحدثين، فنشك في صحته شكاً كبيراً. لقد زعموا أن الصباح أقام بساتين مكسوة بالأشجار بالقرب من قلعته فكان يعطي أتباعه الحشيش، ثم يحملهم وهم في غيبوبة إلى هذه البساتين فيرى أحدهم ويسمع، ويُرسل إليهم بعد ذلك نساء يرقصن ويغنين حتى إذا اقترب أوان صحوهم أعادهم من هذا الحلم إلى حيث يلقي عليهم دروسه التي يدخل بها في أذهانهم أنهم كانوا في الجنة مما يزيد هؤلاء إيماناً بسيدهم وإخلاصاً له.

إن هذا الذي نقله أو تناقله المؤرخون أشبه بالحكايات التي تؤلف للتسلية مثل أساطير قصة الملك سيف وفيروز شاه التي ليس فيها من الحقيقة إلا اسمها، وأن هذه المروييات ليس لها ما يثبتها أو يؤكدها. وقد يكون للسمعة السيئة التي تركها أتباع الصباح أثر كبير في اختراع هذه الأقاصيص التي لا يقبلها العقل لتضادها مع الواقع الذي عرف به الصباح من جدية وقوة وقفهما على الأعمال

السياسية التي كان يدفع إليها في سبيل أداء مهمته التخريبية في العالم العربي والإسلامي بخاصة.

أما المبادئ السرية لدار المحفل السري أو دار الحكمة بمصر كما دعيت فهي سبعة مبادئ، وقد أخذت عن تعاليم عبد الله بن ميمون بن ديصان المعروف بمحمد القداح المؤسس الأول للدعوة الباطنية، وكان هذا الرجل مولى لإسماعيل بن جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو الذي سميت الإسماعيلية باسمه، وقد قلدها وتبعها وانبتقت عنها عدة فرق باطنية. ولعدد "سبعة" صفة سرية خاصة لأنه يعتمد على أسس لها علاقة بالدين والكون، فالإله خلق الدنيا بسبعة أيام، والكون يتألف من سبع سماوات وسبعة بحور والقرآن تبدأ مقدمته بسبع آيات، إلى آخر هذه "السباعيات" التي كان يعتمد عليها جماعة الصبّاح، كما تقوم الحكمة على سبعة أعمدة، وكما يقوم التاريخ على سبعة أشخاص هم: آدم - نوح - إبراهيم - إسماعيل - موسى - عيسى - ومحمد (ﷺ).

وكان الإتياع هؤلاء على سبع مراتب هي:

- 1 - الرئيس الأعلى أو شيخ الجبل.
- 2 - المقدمون، ويتلقون الأوامر وينفذونها عن الرئيس الأعلى.
- 3 - الرسل، أو الدعاة، وهم للدعاية ونشرها.
- 4 - الرفاق، وهم أتباع الدعاة.
- 5 - الفدائيون، وعملهم الاغتيال بأمر من الرئيس.

6 - المبتدئون، أو التلامذة، الذين يتلقون التعاليم الأولية.
7 - العامة أو الرعاع، وليس لهم صلة بالجمعية وعلاقتهم تقوم على شرف الانتساب فقط.

أما الباطنية فتتألف من ثلاثة ألوان أهمها:

1 - الإسماعيلية، نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الذي هو الأخ الأكبر لموسى الكاظم الذي تبعه واختاره الشيعة الاثنا عشرية المعروفة.

2 - القرامطة نسبة إلى حمدان قرمط بن أشعث.

3 - الحشاشون، وهم جماعة حسن الصباح الذين أشرنا إليهم سابقاً.

لقد ظل حسن الصباح إلى أن بلغ من الكبر عتياً فمات، وحكم أولاده من بعده وظلوا بعده ما يقارب المئتي سنة تحيط بهم هالة من الذعر والخوف والكراهة من كل من كان يحيط بهم من الطوائف التي انتشرت وتفرقت عن الخلافة العباسية.

لقد أتينا بهذا الحديث المفصل عن حسن الصباح لاعتمادنا أنه كان ذا أثر في عمر الخيام وتفكيره فهو رفيقه وصديقه ولكن الحياة اختلفت بين الاثنين وإن تأثر أحدهما بالآخر، وسنرى أن الأفكار التي وردت بها رباعيات الخيام فيها الكثير من الآراء المتطرفة التي تستهتر بالدين وتدعو إلى عدم الاهتمام بالآخرة، وتدفع بالفكر إلى السخر من كل حقيقة في هذا الكون كهذا القول:

أحس في نفسي ديب الفناء
ولم أصب في العيش إلا الشقاء
يا حسرتا إن حان حَيثي ولم
يتح لفكري حل لغز القضاء

فهو كما ترى غير مؤمن بالقضاء ، وهذا دليل على أن الرجل
متحلل من تعاليم الدين الإسلامي الذي يفرض التسليم وعدم النقاش
في مسألة القضاء والقدر كما يقول شوقي:

القضاء معضلة لم يحلها أحد
أتعبت معالجها واستراح معتقد

فالاعتقاد مفروض سلفاً وليس محلاً للنقاش والشك.

إن كلمة باطنية في رأينا أصلها أن أصحابها أرادوا أن يناقشوا
ويعلموا أموراً لم يُسمح لهم ببحثها ومناقشتها ، كبحثهم مثلاً عن
بعض المصطلحات القرآنية ومحاولتهم معرفة كنهها من مثل: ألم -
كهيعص ، الر ، وقد كان النبي (ﷺ) نهى عن السؤال عنها ويروى أنه
قال للسائلين: مروها كما كانت ، وفي الحق أن على المسلم أن يأخذ
من القرآن التعاليم والأسس الأخلاقية والدينية وأن يسلم بهذه
المصطلحات التي لا تقدم ولا تؤخر معرفتها ، يضاف إلى هذا أن جماعة
الباطنية ، قد سمو بهذا الاسم لأنهم أرادوا بحث المعاني التي تكمن
وراء الكلمات ، مع أن هذه المعاني غير موجودة لأن المعاني القرآنية
ظاهرة لا تحتاج إلى هذا التعمق ، وقد بحث بعض العلماء هذه الأمور

وكونوا لكثير من معاني القرآن معاني أخرى هي المعاني الباطنية التي تتعاكس في كثير من الأحيان مع المعاني الظاهرة فسموا بالباطنية، وقد أخذ الخيام الكثير من هذه الآراء والتفسيرات عن صاحبه الصبّاح وجماعته فتأثر بها وورد ما يشبهها في شعره كقوله بالفناء التام مثلاً:

لا تشغل البال بماضي الزمان

ولا بآتي العيش قبل الأوان

فإن كل شيء في هذه الحياة مبني على الشك عنده والعقل من يغتنم الفرصة في اجتناء اللذة واصطيادها رغم أن ما جاء في الأديان واضح من أن النفس خالدة والبعث شيء مفروغ منه وكان الخيام في شكه هذا يقلد أبا العلاء المعري في قوله:

وزعمت أن لنا معاداً ثانياً

ما كان أغنانا عن الحاليين

أو القول المنسوب لديك الجن الحمصي:

فبعث ثم حشر ثم نشر

حديث خرافة يا أم عمرو

لقد عاش الخيام متناقضاً فهو تارة صوفي وتارة باطني وأحياناً ملحد لا يؤمن بشيء، ثم تراه مسلماً يقوم بواجباته الدينية كما فعل يوم حج وطاف في البيت الحرام كما يفعل المسلم الصحيح الإيمان، ولكن الشعر من غير شك، كان يغمر تفكيره كله، فهو كما قلنا

لا يلتزم حالة واحدة لأنه شاعر والشاعر صعب عليه أن يستقر على حال كغيره من الناس العاديين. ولقد كان عصر عمر الخيام عصراً مضطرباً كما رأينا فقد انتقلت إليه الفلسفة اليونانية، وأخذت الأفكار تنال شيئاً من الحرية فظهر كثير من الآراء المخالفة للدين التي تأثر بها المؤمنون واهتز بها اعتقادهم، وما من شك أن الخيام كان خائفاً من نهايته وهي الموت، فكان يحاول أن ينسى هذه النهاية عن طريق شرب الخمرة التي كانت محور حياته ورأس شاعريته وإن ادعى بعض المتصوفة أنه كان يقصد بالخمرة العزة الإلهية كما فعل ابن الفارض والحلاج وغيرهما. ولئن صحت هذه الفكرة عن ابن عربي وابن الفارض والحلاج وأمثالهم فهي ليست صحيحة عند الخيام الذي كان يتظاهر بالدين تظاهراً وكان يرى أن العمر قصير وأن النهاية قريبة ومجهولة وليس للمرء في هذه الحال إلا أن يقطع زهرة شبابه شارباً كما قال بعض الشعراء: ولا خير في الدنيا لمن عاش صاحباً، وإن عصور الاضطراب هي التي تولد الشخصيات الفنية كما حدث في فرنسا قبل ثورتها وبعدها لأن مثل هذه العصور تحمل في طياتها "الم العصر" كالألم الذي أنتج فولتير وروسو ثم لامارتين وهوغو وموسيه بعد الثورة، وهكذا كان الخيام، لقد كان شاعراً بالاضطراب والخطر، خائفاً من عدم الاستقرار والاطمئنان فلجأ إلى ما يذهله عن حاضره ليحيا في الخيال بدلاً من الواقع، هذا الخيال الذي أملى عليه رباعياته.

شخصية عمر الخيام:

نشأ الخيام وعاش في عصر مليء بالقلق والشورات والاضطرابات. وقد امتدت حياته طوال العهد السلجوقي الذي امتد منذ عام /1029/م حتى موت ملك شاه عام /1092/م بعد قتل وزيره الشهير نظام الملك بشهر واحد، وقد بدأت هذه الدولة السلجوقية التركية الأصل من تركستان فاستولى السلاجقة على نواحي بخارى، وسمرقند ثم طبرستان، وثاروا على الدولة الغزنوية فأزالوها بزمن مسعود بن محمود، واستولوا بعد ذلك على مرو ونيسابور عاصمة خراسان وكان رئيس هذه الدولة "أرطغرول" الذي قضى بعد ذلك على أهل الفرس أنو شروان، وكتب إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله يطلب منه أن يقره على الملك ودخل بغداد ظافراً فاستقبله الخليفة الضعيف وأجلسه إلى جانبه وخلع عليه الخلع ولقبه: ملك الشرق والغرب، وجاء بعد أرطغرول ألب أرسلان ابن عمه وهو الذي اتخذ نظام الملك وزيراً، وقتل ألب أرسلان فخلفه ابنه ملك شاه، وهو بعد شاب صغير فاستولى على بعض أملاك الفاطميين ومات عام 1092 ثم اختلف أولاده إلى أن زالت هذه الدولة القوية.

في هذه الفترة كانت حياة الخيام، وقد كانت حياة مضطربة لا تعرف الاستقرار، لقد عاش في نيسابور، ثم أخذ يطوف البلاد فحج البيت الحرام في مكة وأقام في مرو وبلخ وبخارى ووصل إلى بغداد وأصفهان، ولكن معظم حياته مرّ في نيسابور التي كانت مركزاً له يذهب منها ثم يعود إليها، وكان العصر من الناحية العلمية ليست له صورة تدل على الاختصاص فقد كان الأدب والفلسفة والطب والعلوم

الطبيعية من كيمياء وفيزياء وتشريح كلها مختلطة وعلى المتعلم أن يلم بها جميعاً، ومن هنا وجدنا ابن سينا مثلاً يكتب في الطب والفلسفة وفي الفلك وفي الشعر وقد عرفنا قصيدته الشهيرة "في خلود النفس" ومطلعها الشهير:

هبطت إليك من المحل الأرفع

ورقءاء ذات تدلل وتمنع

وهي القصيدة التي عارضها الكثير من الشعراء وخاصة شوقي، فكان على عمر الخيام أن يدرس هذه الأمور كلها حتى التي تری فيها تناقضاً ظاهراً مع شخصيته فالشاعر في أيامنا أصبح بعيداً بعداً شاسعاً عن العلوم والرياضيات والفلك والطب وغير هذه من فروع المعرفة، لذلك نجد من الغريب حقاً أن يكون الخيام شاعراً وفيلسوفاً وعالمياً، يلجأ إليه في القضايا الفلكية حتى لقد عزي إليه التقويم الفارسي السلجوقي الذي يسمى الجلالی والذي اعتبره العلماء في هذا العصر أكثر انضباطاً من التقويم الغريغوري وغيره من التقاویم.

وما من شك أن الخيام، وهو يحمل طبيعة الشاعر قد كان ضيق الذرع بالعصر الذي يعيش فيه، وأظن أن الشعراء جميعاً هم أشبه بالخيام في تطلبهم الراحة والاطمئنان. ولكن الزمن لا يسير على غرار واحد ولا يمر هادئاً أبداً ودائماً، على أن التقلبات المفاجئة قد تمر بالأناس العاديين فلا تحرك شعرة في أجسادهم لأن أكثر هؤلاء من أصحاب الجلد التماسحي الذي لا تعمل فيه السكاكين وهؤلاء هم الذين عناهم المتنبی بقوله:

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن

يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

بينما نجد الشاعر الحساس يتقلب على الجمر من تقلبات الأيام
واختلاف الأحوال فحياته يختصرها معنى هذا البيت:

تقضى زمان لعننا به

وهذا زمان بنا يلعب

وعصر الخيام كان يحتمل نوعين من الأشخاص، إما الشخص المغامر الذي يحاول الوصول إلى السلطة والحكم والإمامة كالحسن بن الصباح، وأرطغرول مؤسس دولة السلاجقة، وعبيد الله بن المهدي مؤسس الدولة الفاطمية، فإذا كان الشخص شاعراً فلا بد أن يكون قوياً متحدياً يريد أن يشتهر ويثري ويفرض نفسه على ممدوحيه من زعماء ذلك الزمان، أولئك الذين وصفهم المتبني محترماً لهم بقوله:

أرانب غير أنهم ملوك

مفتحة عيونهم نيام

وإما أن يكون شاعراً لا يستطيع الوقوف صامداً أمام تقلبات الزمن فعليه أن ينزوي ويختفي عن أنظار المجتمع كما فعل ابن الرومي الذي استتر وراء تشاؤمه وقضى عمره في بيته لا يكاد يخرج منه، أو يكون كالخيام يأوي إلى بيته ليعاشر الخمرة، وليعاقر الكأس، ثم ليتأمل في وجوه الكون، ولينظر إلى هذه النجوم المتلامحة في السماء الصافية:

إن الخيام لم يكن صوفياً، ولا متشائماً، ولا فيلسوفاً، ولكنه كان رجلاً يريد أن ينسى الحياة لأنه لم يستطع أن يفهم الحياة ولذلك قضى الحياة بعيداً عنها في عزلة تامة، وهذه العزلة هي التي كونت فيه فلسفة العزلة أو الوحدة، سمها كما شئت، فحياته إذن بعيدة، عن التفكير في الأمور التي تشغل بال الأذكى من الناس من مثل القضاء والقدر والبعث والنشور والحساب وخلود الروح أو فنائها فكان كل همه كما قال:

أين النديم السمع أين الصبوح

فقد أمضّ الهم قلبي الجريح

ثلاثة هنّ أحبّ المنى

كأس وأنغام ووجه صبيح

إذن فهو ساه عن كل شيء في الحياة سوى هذه الأمنيات الثلاثة: كأس وأنغام ووجه صبيح، ولهذا فإننا لا نلمح في منحى الخيام الشعري شيئاً من حديث الروح والترفع عن المادة أو التصوف الذي يسمو بالقول إلى مراتب الخيال السامي كما كان يفعل الحلاج وابن عربي وابن الفارض. إنه واقعي يتقيد في نظره إلى الدنيا بما يراه أمامه وكل ما أمامه مختصر محدود وينحصر في هذه العناصر الثلاثة: الكأس والنغم والجمال. إنه يود أن تمضي حياته على هذه الصورة المختصرة. فلا هم ولا حزن ولا انشغال بما لا يعني الإنسان، فقد كان الخيام مكفي الجانب من المال بفضل صديقه الوزير نظام الدين، ولكن هذا الذهول كله لم يكن يصرفه عن فكرة واحدة كانت

تعذبه وتورقه هي فكرة انقضاء الزمن وتتابع الأيام ثم الوصول إلى الموت الذي يقضي على كل شيء في الإنسان، لهذا كان يديم الشراب لأن من حسنات الشراب، إن كانت له حسنات، أن ينسى الإنسان واقعه الذي يذكره بانقضاء الحياة وفناء الذات:

اشرب فمشواك التراب المهيل

بلا حبيب مؤنس أو خليل

وانشق عيبير العيش في فجره

فليس يزهو الورد بعد الذبول

فعصر الخيام إذن عصر مليء بالحوادث الجسام والأحداث العظام التي لا تدع للشاعر فرصة التأمل والتفكير. وخير للمرء في مثل هذه الزوبعة الدائمة أن يخرج منها لاجئاً إلى مكان يحجب عنه الريح العاتية والعواصف القاسية، وانظر إلى هذا القول فهو يمثل لك رأي الخيام في الخمرة وسبب هيامه بها:

لم أشرب الراح لأجل الطرب

أو ترك ديني وأطراح الأدب

رُمت الحياة دون عقل لحظة

فهمت بالسكر لهذا السبب

الرباعيات:

قبل أن نبحث في المعاني التي طرحها الخيام في رباعياته التي هي مجموعة أشعاره، نود أن نبحث الشكل الخارجي لشعره وأعني بذلك البحر والوزن والقافية فالبحر الشعري عند الفرس لا تتعدى البحر أو البحرين وأهمها هذا الذي يسمى بالدوبيت، وهذه الكلمة مركبة من كلمتين "دو" وهي بالفارسية تعني: اثنين، وثانيتها عربية وتعني "البيت" الشعري، فكلمة دوبيت تعني البيتين، ووزن هذا الدوبيت هو: فعلن متفاعلن فعولن فعلن، ومثاله الصحيح هو:

الورد بوجنتيك زاه زاهر

والسحر بمقلتيك واف وافر

والعاشق في هواك ساه ساهر

يرجو ويخاف فهو شاك شاكر

وفي الدوبيت يلتزم عادة قافية واحدة وقد تختلف قافية الشطر الثالث عن البقية ويدخله على الأغلب الجنس اللفظي كقولنا: زاه زاهر، واف وافر، فهو من هذه الناحية أشبه بالموشح أو الموالم ويسمى مردوفاً إذا تغير وزن الأشعار، ورباعيات الخيام كلها على هذا الوزن. أما المترجمون فقد خرجوا كلهم على وزن الرباعيات هذا، فالصافي النجفي لم يتقيد بوزن واحد في ترجمته وإنما اختار أن يترجم كل رباعية بوزن ينتقيه هو لذلك فإنك تجد في ترجمة الصافي كل الأوزان العربية تقريباً، وحجته في هذا التغيير والتقل من بحر إلى بحر واردة في قوله: وكان همي الوحيد أشاء التعريب متجهاً لأمرين: الأول

الأمانة في النقل والاحتفاظ بالمعنى الأصلي والثاني تقريب التعريب بقدر الطاقة من الذوق العربي "وقد انتقد الصايغ على تصرفه هذا العلامة الإيرانية القزويني الملقب بصدر الأفاضل" وكان النقد موجهاً إلى أن الصايغ لم يحتفظ بالوزن الأصلي للرباعيات وأعني "الدوبيت" كما أنه لم يقيد نفسه بوزن خاص في كل الترجمة بل انتقل من بحر إلى بحر.

أما أحمد رامي فقد اختار لترجمته البحر السريع:

مستفعل مستفعل فاعل

مستفعل مستفعل فاعل

كما أن محمد السباعي قد اختار بحر الرمل، واختار غير هذا البحر وديع البستاني، كما أن هناك من ترجم الخيام نثراً، بحيث كثرت التراجم كثيرة عجيبة، حتى أمكننا القول أنه أصبح لدينا أدب يمكن أن يدعى أدب الخيام.

ومما لا شك فيه أن الصايغ النجفي قد كانت ترجمته أفضل هذه التراجم برأي المطلعين على اللغة العربية والفارسية، والسبب في هذا أن الصايغ ترجم الرباعيات عن لغتها الأصلية "الفارسية" التي يتقنها كأبنائها في حين أن أكثر المترجمين كالسباعي والبستاني وأحمد رامي وغيرهم قد ترجموا الرباعيات عن الإنكليزية وهذا في رأينا نقص كبير لأن الترجمة يفضل فيها أن تكون منقولة عن أصل النص لا عن لغة ثالثة يكثر فيها الخلل والبعد عن المعنى الحقيقي للأصل. وما دمتنا في الشكل الشعري فلا بد من أن نقول أن الكثير من الألفاظ التي وردت في هذه الترجمات كلمات مغصوبة على أداء

مهمتها مقتسرة على عملها في البيت، فإذا قرأتها أحسست أن غيرها أجدد بمكانها فيها والدلائل على هذا كثيرة والذي أقدره أن هذا ضعف يعود إلى أن المترجم لم يفهم الرباعية الخيامية كما جاءت في أصلها وكما نددت عن فكر الشاعر الناظم، وقرأت معي هذه الأبيات لأحمد رامى من الرباعيات التي جاءت في الصفحة (51) من ترجمته، يقول:

فلا تتب عن حسو هذا الشراب

فإنما تتدم بعد المتاب

وما أظن الخيام يقنع من الشراب بالحسو فقد قيل: يوم كحسو الطير تشبيهاً له بجزع الطير للماء في سرعة انقضائه والعرب تقول: نومه كحسو الطائر، إذا نام نوماً قليلاً وكان بوسع المترجم أن يقول: عن شرب هذا الشراب، أو كرع هذا الشراب فذلك أدل على الرغبة في الإكثار من الخمرة وهو ما كان يصنعه الخيام ثم كلمة "فإنما" فإنها غير مطمئنة في هذا المكان من الشطر الثاني وكان يمكن أن يقول: فأنت قد تتدم بعد المتاب، أو أن يقول: فربما تتدم بعد المتاب، وهو أقرب على هذا الشكل لقصد الشاعر، وقرأت هذه الرباعية لرامى أيضاً:

يا من يحار الفهم في قدرتك

وتطلب النفس حمى طاعتك

أسكرني الإثم ولكـنني

صحوت بالآمال في رحمتك

والأجمل في هاتين القافيتين أن لا تكون: طاعتك مع: رحمتك لأن الألف في: طاعتك تجعل القافية مختلفة، وهذه ألف التأسيس التي يجب التزامها في القوافي، وكان يمكن لرامي أن يقول: وتطلب النفس حمى قدرتك مثلاً، أو حمى نعمتك، أو ما أشبه ذلك. وقرأ معي في ترجمة توفيق مفرج قوله: "إني لم أترجم عمر الخيام ترجمة حرفية، ولم أحر الكلمات والجمل ولم أحرص على مراعاة الأصل"، وهذا يعني أن العمل ليس ترجمة وإنما هو وضع وتقليد، ثم يقول بعد ذلك: حتى إذا شئت أن تعود للأصل الفارسي قد لا تجد تشابهاً أو تقارباً أو تناسقاً بين الأصل والفرع، وإذن فما الذي فعله توفيق مفرج ما دام أصل الرباعيات قد أهمل ولم يراع، كما يقول، إذن فهذا كتاب من تأليف مفرج وليس ترجمة ولا نقلاً وإنما هو مستقل استقلالاً تاماً وعلى هذا فليس من حق المؤلف أن يسمي سفره رباعيات الخيام، لأنه لا صلة بين عمله وبين الخيام، وليس شعراً ما كتبه مفرج، وإنما هو شعر منشور كما سماه هو وكما سماه الشيخ مصطفى عبد الرازق العالم المصري المعروف، والأصح أن يسمى هذا الكلام "نثراً مشعوراً" على حدّ التعبير الساخر الذي قاله المازني الكاتب اللبق المعروف، ولغة مفرج، لا تخلو من خطأ فقد وردت فيما صنع أخطاء لغوية كثيرة منها قوله:

طالما سينقضي العمر

والمصير إلى التراب

فطالما هنا يريد بها الكاتب، ما دام، فنقول لطلما، أو طالما سعيتم إلى العلم وهي مشتقة من الطول وهي غير هذه التي جاء بها

الأستاذ مفرج، واستعمال طالما بالمعنى الذي ورد في جملة الكاتب خطأ. وهو يستعمل "إذا" الظرفية في غير محلها كما جاء في هذه الجملة من كتابه:

عجباً للروح كيف تلبس هذا الجسم من طين

إذا كان في إمكانها الارتفاع إلى أعلى من عليين

مع أن الأفضل استعمال ما دام، بدلاً من إذا في هذا المكان
وقال:

والدنيا فـخـ وقع فيها الإنسان

وكان الأولى أن يقول: وقع فيه، لأن الفخ مذكر، وهناك
أخطاء إنشائية كما تسمى بالفرنجي كما في أقواله:

وطارت روحي وراء ظلمات القبور

لتبحث عن الجنة والنار والنشور

وعادت إليّ تقول: أنا هي الجنة والجحيم

أنا الفردوس للضمير المطمئن، وأنا النار للأثيم

وكان الأولى أن يقول: تبحث عن الجنة، فاللام هنا غير
ضرورية، وأن يقول أنا الجنة والجحيم فالضمير بيت المبتدأ والخبر في
قوله: أنا هي الجنة غير ضروري أيضاً، وكان الأفضل لو قال في
الجملة الأخيرة: أنا الفردوس للضمير وأنا النار للأثيم: أنا فردوس

الضمير وأنا نار الأثيم، فهذه اللامات الملحقة غير لازمة ويمكن الاستغناء عنها.

أما الصائفي النجفي - فقد أجمع النقاد والخبرون باللغة الفارسية على أن ترجمته أصح الترجمات وأصدقها وأقربها إلى الأصل الفارسي، ولكنني أقف عند ملاحظتين هامتين جاء بهما المترجم الأولى: إنه اهتم بأداء المعنى الأصلي في أي وزن أمكن، وكان يضطر أحياناً إلى تغيير الوزن حرصاً على تتبع المعنى الصحيح، ولو كنت مكانه لاستغنيت عن الوزن ولجأت إلى النثر لأن النثر يساعد على تتبع المعنى الصحيح للأصل المترجم، ومن الثابت لدينا كما قلت في مكان آخر من هذه الدراسة، أن ترجمة الشعر الأجنبي إلى شعر عربي شيء غير ممكن.

والملاحظة الثانية في قوله: إن الأذن تمل من سماع نغمة واحدة مكررة في وزن واحد وتميل إلى التنوع، وهذا جائز في كل شيء إلا في الشعر فإن جمال القصيدة وهذا من أسرار القصيدة العربية، أن القارئ يتلذذ بتكرار القافية والوزن، وما رأي المرحوم الصائفي في قصيدة من قصائد المتنبي مثلاً كقصيدته: (عيد بأية حال عدت يا عيد) أو قصيدته: واحرّ قلباه ممن قلبه شميم، لو أنها جاءت في أبيات مختلفة الأوزان، إنها إذن تضيع أكثر لذتها وعبقريتها ومن جهة أخرى، فإن الصائفي، كما قال اعتمد في الأصل الفارسي على نسختين، هما نسخة رشيد الياسمي ونسخة المستشرق الألماني "روزن" مع أن عدد النسخ في المراجع العربية ثمان وهي رباعيات فيزجيرالد، ونسخة نيقولا ونسخة وينفيلد ونسخة دون ونسخة ألين ونسخة مارتولد

ونسخة كريستسن ونسخة روزن. ثم هناك ما يزيد على العشر نسخ مترجمة شعراً ونثراً في اللغة العربية وكان على الصايغ أن يعود إلى هذه النسخ كلها فقد كان يمكن أن يجد فيها ما يعينه على صحة ترجمته، وفي رأينا أنه كان من الأفضل للصايغ، ولكل من ترجم الرباعيات شعراً، أن يترجمها نثراً فذلك أقوم للترجمة وأصح للنقل: أن أحمد رامي والسباعي والبستاني، لم يستطيعوا التخلي عن النغمة العربية - بحيث أنهم ضحوا بالكثير من المعاني الخيامية في سبيل المحافظة على الأسلوب العربي، ومن الغريب أن اسم "الرباعيات" هو اسم خاطئ لأن كل رباعية منها تُولف من بيتين فقط على طريقة "الدوبيت" التي شرحناها آنفاً فهي مؤلفة من أربعة أشطار ثلاثة منها بقافية واحدة والثالث بقافية مخالفة للثلاثة الأخرى.

ولا بد من القول، رغم كل ما تقدم أن ترجمة الصايغ - من الوجهة العربية التي لنا الحق في إبداء الرأي فيها - هي أصح ترجمة بين الترجمات الأخرى، بل إن من بعض مقاطع هذه الترجمة ما قد ضاع فيه أثر الترجمة وهذا أعلى أنواع الترجمة وانظر إلى هذه الأبيات التي يصح أن تتشد في كل محفل عربي دون أن يلحظ ملاحظ غريبتها عن جوها العربي الأصيل:

إلهي قل لي من خلا من خطيئة

وكيف ترى عاش الخلي من الذنب

إذا كنت تجزي الذنب مني بمثله

فما الفرق ما بيني وبينك يا ربي

ثم انظر إلى هذه المقدمة الشعرية للمترجم:

أخيـام قد أرسلت روحك هاديا
لروحـي في اتقان هذي التراجم
فإنـي تلميذ لروحك في الأسى
أمارسه من قبل حل التماثم
لئن نلت من بعد التشاؤم لذة
فما نلت من دنياي غير التشاؤم

وانظر إلى هذه الترجمة الرائعة:

لا عـشت إلا بالقوا في مغرما
وعلى يدي تـبر المـدام الذائب
قالوا سـيقبل منك ربك توبة
لا الله قابـلها ولا أنـا تائب

إن الخيام قد أصبح ضمن التراث الأدبي العالمي فلم تبق لغة في العالم إلا ونقلته إليها للإطلاع على هذا الفكر النيّر الذي يوحى للقارئ بالسرور، ويلهمه اللهو في أشد ساعات الحياة ظلمة وبؤساً. ومن الخير أن يتصفح المرء بعض صفحات من هذه الرباعيات ليخلد إلى الابتسام والسرور، فإن هذه الرباعيات أو الثنائيات "دوبيت" يمكن أن يستعملها القارئ كأقراص الدواء يأخذها حين الحاجة.

هذا هو الشاعر الخيام الذي كان الشعر أقل أدواته كما يقال،
وهو شخص من غير شك يحمل عبقرية نادرة وموهبة قادرة ندر أن
يجود بمثلها الزمان.

أحمد الجندي

مقدمة العرب

أول ما قرأت من رباعيات الخيام هو تعريب الأديب السيد وديع البستاني وقد أثرت في نفسي قراءتها حينذاك بحيث نقلتني من عالمي المحسوس إلى عالم خيالي بديع ملؤه اللذة والهناء. فوددت لو بقيت فيه ولا انتقل إلى هذا العالم المادي المضمع بالألام والأتعاب.

وقلت لنفسني إن كان هذا اثر التعريب فما هو أثر الأصل يا ترى؟ من ذلك الحين أخذت أسعى للوصول إلى ينبوع الرباعيات الأصلي. لأن السواقي والأنهار مهما نقيت لا بد وأن تحمل مع النمير العذب فضلات وزوائد تعكر لونه وتفسد طعمه. فشعرت بالحاجة إلى تعلم الفارسية وآدابها ولكني كنت في بيئة عربية والأسباب لم تكن متوفرة لدي لبلوغ تلك الأمنية فحدث بعد حين أن ثار العراق ثورته الكبرى ثم انتهت الثورة بانكسار الجيش الوطني فاضطرتني الظروف إلى مغادرة بلادي واتخاذ طهران عاصمة الفرس داراً لهجرتي. أقمت في طهران ثماني سنين كان همي الوحيد فيها درس الأدب الفارسي والنضوذ إلى معانيه الدقيقة ومراميه السامية لأصل منها إلى

الينبوع الصافي الذي سالت منه خيالات عمر الخيام الشاعر الذي شغفت به من دون باقي شعراء الفرس.

ثم بلغت من درس الأدب الفارسي المنزلة التي كانت تتوق إليها نفسي وأخذت أكتب وأترجم وأنشر باسم "سيد أحمد نجفي" في أمهات الصحف الفارسية، كصحيفة "شفق سرخ" و"كوشش" و"إقدام" ومجلة "إرمغان" لسان حال النادي الأدبي بطهران ومجلة "تعليم وتربيت" ثم كلفتني وزارة معارف إيران أن أترجم لها كتاب علم النفس الذي اشترك بتأليفه الفاضلان المصريان السيدان (علي الجارم ومصطفى أمين) ليدرس في دار المعلمين هناك فترجمته لها وبعدئذ انتخبت عضواً في النادي الأدبي الفارسي بطهران.

وحينذاك أخذت أطالع الرباعيات بالفارسية فوجدت تعريب الأستاذ البستاني رغم ما اشتمل عليه من سمو وإبداع لم يكن يمثل مع الأسف من الرباعيات إلا قشورها البراقة وأصدافها اللامعة وكان له العذر في ذلك إذ لم يكن عارفاً بالفارسية فترجم سباعياته عن الإنكليزية ومن أجل ذلك بقي الدر واللباب في كنز مرصود لم تستطع أن تفك طلاسمه قرائح المترجمين.

كل ذلك حرك رغبتني إلى محاولة فك تلك الطلاسم واكتشاف ما اختبأ في ذلك الكنز لعلني أستطيع أن أتخف قراء العربية لغتي المحبوبة لا بتلك الخيالات الشعرية المعروفة التي تدفع إلى التشاؤم وتدعو إلى اللذات فحسب بل بتلك اللآلئ المكنونة التي تمثل آراء الخيام الفلسفية ونكاته الأدبية البديعة.

وقد أدركت حينئذ خطورة موقفي وما يعترضني فيه من العقبات مما يدركه كل من عانى ترجمة الشعر بشعر مثله ولا غرو فإن نقل المعنى شعراً من لغة إلى أخرى مع الاحتفاظ بالمعنى الأصلي بحيث لا يبدو عليه أثر التكلف في الترجمة أمر شاق تهي دونه العزائم وتقف الهمم حائرة أمامه ولكن الرغبة سر النجاح والعشق يجتاح العراقيل ويذلل الصعوبات فأنصرفت وكلي رغبة نحو التعريب وأخذت أجرب قريحتي في تعريب بضع رباعيات عرضتها عند ترجمتها على أدباء الفرس العارفين بالعربية وآدابها فقابلوها بالأصل وأبدوا إعجابهم بها وشجعوني على إكمال العمل فأخذت أوالي السعي وإفراغ الجهد ثلاث سنوات كاملات لم يكن لي فيها شغل سوى إتمام هذا العمل حتى أكملتها ثلاثمئة وإحدى وخمسين رباعية وكان همي الوحيد أثناء التعريب متجهاً لأمرين الأول الأمانة في النقل والاحتفاظ بالمعنى الأصلي حتى ظهر أكثر الرباعيات كأنه قد ترجم كلمة بكلمة.

الثاني تقريب التعريب بقدر الطاقة من الذوق العربي وكان ذلك يلجئني أحياناً إلى أن أفرغ الرباعية الواحدة في أكثر من عشرين سبكاً حتى اختار من بينها السبك الوافي بأداء المعنى والمطابق للذوق العربي وكثيراً ما كنت أضحي بخيالي الشعري في سبيل تحقيق هذه المهمة وربما يرى القارئ الأديب كلمات في الترجمة يمكن استبدالها بأحسن منها ولكن ليثق من أنني قد أثرت هذه الكلمات على غيرها (مما هو أنسب منها للذوق) لئلا يؤدي تبديلها إلى خلل في المعنى الأصلي.

وما كنت أحميد عن هذا الغرض وآتي بشيء من التصرف إلا
عندما أعجز عن كل الوسائل للاحتفاظ بالمعنى الأصلي.

وهناك رباعيات جميلة لم أستطع مع إفراغ الجهد أن أبرز
معانيها المهمة كاملة في الترجمة مع الموافقة للذوق العربي فنكبت عن
ترجمتها معترفاً بعجزتي وقصوري.

ولما أن أكملت التعريب عرضته على أدباء الفرس فقابلوه
بالأصل وأكبروه غاية الإكبار وإليك ما فاه به أكبر شعراء الفرس
المعاصرين وهو محمد حسين بهار الملقب (بملك الشعراء) قال: إن بعض
التعريب مع كونه مطابقاً للأصل جداً فهو يفوقه من حيث البلاغة
والأسلوب كهذه الرباعية:

لم يحظ بالدهر في ورد الخدود فتى

إلا وكابد من أشواكه العطبا

أنظر إلى المشط لم تبلغ أنامله

أصداغ أغيد ما لم ينشعب شعبا

والرباعية الآتية:

أيا فلماً يربي كل نذل

وليس يدور حسب رضا الكريم

كفى بك شيمة أن رحمت تهوي

بذي شرف وتسمو باللائيم

ولا أنسى ما قاله لي أحد كبار العلماء والأدباء هناك وأعني به العلامة الملقب بصدر الأفاضل الذي كان يدرس الأدب العربي للشاه المخلوع قال بعد أن أطلع على الرباعيات بتمامها: (أكاد أعتقد أن الخيام نظم رباعياته بالعربية والفارسية معاً وقد فقد العربي منهما فعثرت عليه وانتحلته لنفسك).

لم يكن غرضي من إثبات هذه الشواهد هو الفخر والتبجح بل كل غرضي يشهد الله أن أجعل القارئ العربي واثقاً من أنه إذا قرأ التعريب فكأنه قرأ الأصل بلا أدنى فرق.

وقد نشرت مجلة (أرمغان) لسان حال النادي الأدبي في طهران قطعاً من التعريب مقرونة بالأصل مع مقدمة ضافية نوهت فيها بمكانة هذا التعريب.

ثم إنني أرسلت نماذج من الرباعيات مصحوبة بأصلها الفارسي من حرف الألف إلى حرف الدال للعلامة المتبحر الميرزا محمد خان القزويني المقيم في باريس منذ عشرات السنين والعارف بمعظم اللغات الأوروبية والعضو في مؤتمر المستشرقين باكسفورد والذي كان العضد الأيمن للمستشرق الإنكليزي المرحوم الأستاذ "برون" في نشر الكتب الفارسية والتعليق عليها، وطلبت إليه أن يقيس تعريبي هذا بما ترجم من الرباعيات على سائر اللغات. فأجابني بكتاب يجمع بين تقرير وانتقاد.

أما انتقاد الأستاذ العلامة فينحصر بالوزن فحسب ذلك لأنني لم أحتفظ بالوزن الأصلي أعني بحر (الدوبيت) ولم أقيّد نفسي بوزن خاص يطرد في جميع الرباعيات وشفيعي في ذلك أمران:

أحدهما الاهتمام بأداء المعنى الأصلي في أي وزن أمكن إذ أن ذلك هو غرضي الوحيد من الترجمة وكنت لذلك أضطر أحياناً أن أجعل الترجمة في بضعة أوزان حتى أعثر عمن بينها على الوزن الواجب بأداء المعنى...

الثاني: أن الإذن تمل من استماع نغمة واحدة تتكرر في وزن واحد وتميل إلى التنوع فما الوزن إلا نوع من الموسيقى والكل يعرف كيف يعتري السمع الملل عند استماع الموسيقى ذات اللحن الواحد المتكرر المعبر عنه اليوم بموسيقى الهمج وكيف يرتاح السمع عند استماع القطعة الموسيقية ذات الألحان المتنوعة ومثل ذلك يعرض للعين أيضاً عند مشاهدة الروضة ذات الزهر الواحد أو الروضة ذات الزهور المختلفة...

وقد اعتمدت في الأصل الفارسي على نسختين إحداهما النسخة التي جمعها الكاتب الباحثة الأديب (السيد رشيد الياسمي) المطبوعة في طهران والثانية: النسخة التي طبعتها عن نسخة قديمة وقابلها على نسخ كثيرة المستشرق الألماني الدكتور (فريدريخ روزن)...

ونظراً إلى الدقة التي توخيتها في التعريب فقد فتحت المجال الآن لكتاب العربية وأدبائها ليدققوا النظر في فلسفة الخيام ويقابلوا بينها وبين فلسفة (المعري) فإني رأيت كثيراً من معاني الخيام مأخوذاً عن المعري في (لزومياته) أو في (سقط الزند) وبعضها مأخوذاً عن شعراء آخرين وعلى سبيل المثال نذكر ما يلي:

قال المعري:

تمنيت أن الخمر حلت لنشوة

تجهلني كيف استقرت بي الحال

وقال أيضاً:

أيأتي نبي يجعل الخمر حلة

فتحمل شيئاً من همومي وأحزاني

أخذ الخيام هذا المعنى فقال ما تعريبه:

ربي افتح لي باب رزق وأرسل

لي قوتي من دون من الأنام

وأدم نشوة الطلالي حتى

تذهلني ما عشت من آلامي

وقال المعري:

أرواحنا معنا وليس لنا بها

علم فكيف إذا حوتها الأقبير

أخذه الخيام فقال:

سر الحياة لو أنه يبدو لنا

لبدا لنا سر الممات المبهم

لم تعلمنّ وأنت حي سرها
فغداً إذا ما مت ماذا تعلم
وقال أبو الحسن الباخري: المترجم في وفيات الأعيان:
يا صاحب العودين لا تهملهما
حرك لنا عوداً واحرق عودا
أخذه الخيام فقال: ما تعريبه:
وهلم بالعودين واكمل الهنا
وقّع على عود واحرق عودا

ومن غريب ما رأيت من تصرف المعربين هو تنظيم الرباعيات وتقسيمها إلى أناشيد حيث جعلوا كل رباعية مرتبطة بالأخرى مع أن كل رباعية في الأصل مستقلة بمعناها لا علاقة لها بالأخرى أصلاً وقد جمعت في الفارسية غالباً مرتبة على حروف الهجاء ولا شك أنه ما استطاع المترجمون أن يجعلوها سلسلة متصلة الحلقات إلا بعد أن تصرفوا بمعناها فأتوا بالشعر القديم الشرقي على نمط الشعر العصري الغربي.

ومما يجدر التنبيه عليه أن اسم الرباعية كان يطلق قديماً على الأربعة أشطر كما في رباعيات الخيام التي يتألف كل منها من بيتين كما أنها وردت في بحر فارسي دخيل في العربية، يسمى "بحر الدوبيت" أي بحر البيتين ولكن بعض المتأخرين من أدباء العرب

كالياس فرحات والشيخ علي الشرقي قد أطلقوا اسم الرباعية على
أربعة أبيات تشبهاً لها برباعيات الخيام في حين أن رباعيات الخيام
تتألف من بيتين فحسب.

أحمد الصافي النجفي

رباعيات الخيام

حرف الألف

1

كُلُّ ذَرَاتٍ هَذِهِ الْأَرْضِ كَأَنَّ
أَوْجُهَهَا كَالشُّمُوسِ ذَاتَ بَهَاءٍ
أَجَلُ عَن وَجْهِكَ الْغُبَارَ بِرَفْقِي
فَهُوَ خَدُّ لِكَأَعْيَبِ حَسَنَاءٍ

2

إِنَّ رُوحاً مِنْ عَالَمِ الطُّهُرِ جَاءَتْ
لَكَ ضَيْفاً مَا التَّائِثُ بِالْغُبْرَاءِ
اسْتَقْبَلَهَا أَكْثَرُ الصُّبُوحِ صَبَاحاً
قَبْلَ تَوْدِيْعِهَا أَوْ أَنْ الْمَسَاءِ

3

مَنْ تَحَرَّى حَقِيقَةَ الدَّهْرِ أَضْحَى
عِنْدَهُ الحُزْنَ وَالسُّرُورَ سَوَاءً
إِنْ يَكُنْ حَادِثُ الرَّمَانِ سَيَفْنَى
فَلْيَكُنْ كَأَنَّهُ أَسَى أَوْ هِنَاءً

4

قَالَتِ الوَرْدَةُ لَا خَدَّ كَخَدِّي فِي البَهَاءِ
فَإِلَى مَ الظلمِ مِمَّنْ يُنْبَغِي عَصْرًا لِمَائِي
فَأَجَابَ البُلْبُلُ الغَرِيدُ فِي لَحْنِ الغِنَاءِ
مَنْ يَكُنْ يَضْحَكُ يَوْمًا يَقْضِ حَوْلًا بِالبُكَاءِ

5

لَيْسَ يُدْرَى بِمَنْطِقٍ وَقِيَّاسِ
أَيُّ وَقْفَتِ دَارَتَ بِهِ الرُّقَاءُ
أَوْ مَتَى تُصْبِحُ السَّمَاءُ خَرَابًا
فَتَدَاعَتْ وَأَهْدَتْ مِنْهَا البِنَاءُ

6

دَعَّ عَنْكَ حِرْصَ الْوَجُودِ وَاهْتِنَأُ
 إِنَّ أَحْسَنَ الدَّهْرِ أَوْ أَسَاءَ
 وَاعْبَثْ بِشَعْرِ الْحَبِيبِ وَاشْرَبْ
 فَالْعُمُرُ يَمْضِي غَدًا هَبَاءَ

7

إِنَّ تَوَاعَى دُنْتُمْ رِفَاقِي لِأُنْسِي
 وَسَمِعْتُمْ بِالْفِئَادَةِ الْهَيْمَاءَ
 وَأَدَارَ السَّاقِي كُؤُوسَ الْحَمِيءِ
 فَادْكُرُونِي فِي شُرْبِهَا بِالِدُعَاءِ

8

إِنَّ تَلَاْفَيْنِي تُمْ أَخْلَاْيِي يَوْمًا
 فَاطِيلُوا ذِكْرِي عِنْدَ اللَّقَاءِ
 وَإِذَا مَا أَتَى لَدَى الشُّرْبِ دُورِي
 فَارْيُقُوا كَأَسْرِي عَلَى الْعُبْرَاءِ

9

إِن كُنْتُ لَا تَفْنَى سِرْوَى مَرَّةً
فَأَفْنِ وَدَعِ هَذَا الْأَسَى وَالشَّقَاءَ
وَكُنْ كَأَنَّ لَمْ تَحْوَ ذَا الْجِلْدِ أَوْ
ذَا الدَّمِّ وَاللَّحْمِ وَخَلَّ الْعَنَاءَ

10

قَدْ خَاطَبَ السَّمَكُ الْإِوزَ مُنَادِيًا
سَيَعُودُ مَاءُ النَّهْرِ فَاصْنَفْ هِنَاءَ
فَأَجَابَ إِنْ تُصْبِحُ شِوَاءَ فَلَتَكُ الْـ
دُنْيَا سَرَابًا بَعْدَنَا أَوْ مَاءَ

11

مَا الْكَوْنُ دَارَ إِقَامَةٍ فَأَخُو النَّهَى
أَوْلَى بِهِ أَنْ يُدْمِنَ الصُّهْبَاءَ
أَطْفِيءْ بِمَاءِ الْكَرْمِ نِيرَانَ الْأَسَى
فَلَسَوْفَ تَذْهَبُ فِي الْهَوَاءِ هَبَاءَ

90

12

طَالَ كَهَمِيَّ عُمُرُ الْحَبِيبِ فَقَدْ
أَوْلَا زِيَّ الْيَوْمِ خَيْرَ نِعْمَاءِ
فَقَدْ رَنَّا لِي وَمَرُّ يَوْمِي أَنْ:
"أَحْسِنُ وَأَلْقِي الْإِحْسَانَ فِي الْمَاءِ"

13

اخْتَرْتُ بِدَهْرِكَ قَلْبَةَ الرُّفَقَاءِ
وَأَصْحَابَ بَيْتِهِ وَأَنْتَ عَنْهُمْ نَاءِ
فَمَنْ اعْتَمَدَتْ عَلَيْهِ إِنْ تَنْظُرُهُ فِي
عَيْنِ الْبَصِيرَةِ أَعْظَمُ الْأَعْدَاءِ

14

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْفَتَى وَفُتُوذِهِ
وَأَنْظُرْ لِحَفْظِ عُهُودِهِ وَوَفَائِهِ
فَإِذَا رَأَيْتَ الْمَرْءَ قَامَ بَعْدَهُ
فَأَحْسِنُهُ فَاقِ الْكُلَّ فِي عَلَيَّهِ

15

لَقَدْ أَنْ الصَّبُوحُ فَكُم حَبِيبِي
 وَهَاتِ الرِّاحَ وَأَشْرَعِ بِالْغِنَاءِ
 فَكُم "جَمَشِيد"⁽¹⁾ أَرْدَى أَوْ "قُبَاد"⁽²⁾
 مَجِيءُ الصَّيْفِ أَوْ مَرُّ الشِّتَاءِ

16

مَا شَهِدَ النَّارَ وَالْجَنَانَ فَتَى
 أَيُّ امْرِئٍ مِنْ هُنَاكَ قَدْ جَاءَ
 لَمْ نَرَمَّمَا نَرْجُو وَنَحْنُ ذُرَّةُ
 إِلَّا صِفَاتٍ تُحْكَمُ وَأَسْمَاءُ

(1) جمشيد أحد ملوك الفرس القدماء وكان مشهوراً بانهماكه في المسكرات
 والملذات.

(2) قباد أحد ملوك الفرس الأكاسرة ويقال له كي قباد وكيخسرو.

17

إِنْ تَجُذُّ لِي بِالْعَفْوِ لَمْ أَخْشَ ذَنْباً
أَوْ تَهَابْ لِي زَادَ أَمْنَتُ الْعَنَاءِ
أَوْ تُبَيِّضْ بِالْعَفْوِ وَجْهِي فَأِيَّ
لَسْتُ أَخْشَى صَحِيفَتِي السُّودَاءِ

21

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ ذَا عَمَلٍ يَقُولُ أَلَا
لَا يَجْزِيَنَّ الْفَتَى مِنْ نَوْمِهِ طَرِيّاً
حَتَّى مَ تَرْقُدُ كَالْمَوْتَى فَقُمْ عَجِلاً
فَسَوْفَ تَهْجَعُ فِي جَوْفِ الْغُرَى حَقَباً

22

غَدَوْنَا لِذِي الْأَفْلاكِ الْعَبَابِ لِأَعْيِ
أَقُولُ مَقَالاً لَسْتُ فِيهِ بِكَاذِبِ
عَلَى نَطْحِ هَذَا الْكَوْنِ قَدْ لَعِبْتُ بِنَا
وَعُدْنَا لِصَنْدُوقِ الْفَنَاءِ بِالتَّعَاقِبِ

93

23

أَوَّلُ دَهْنَتِي الْمَعَانِي الْهَوَى
وَأَيْدِيهِ نَيْبَتُ فَصِيدِ الشَّبَابِ
يَا جَاهِلًا مَعْنَى الْهَوَى إِنَّمَا
مَعْنَى الْحَيَاةِ الْحُبُّ وَالْإِنْجَذَابُ

24

إِنْ تَجَلُّ لَدَى الرَّبِّيعِ كَفُّ السُّحْبِ
خَدُّ الْأُزْهَارِ فَابْتَدِرْ لِلشُّرْبِ
فَالْيَوْمَ بِذِي الرُّوضَةِ تَرْتَاحُ وَمِنْ
ذُرَاتِكَ سَوِّفَ تَزْدَهِي بِالْعُشْبِ

25

تَزْدَادُ حَيْرَةً عَقْلِي كُلُّ دَاجِيَةٍ
وَالدَّمَخُ حَوِيٍّ مِثْلُ الدُّرِّ مَسْكُوبُ
لَا يَمْتَلِي جَامٌ رَأْسِي مِنْ وَسَاوِسِهِ
وَلَيْسَ يَمَالُ جَامٌ وَهُوَ مَقْلُوبُ

26

قَدْ حَظِينَا بِالغِنَا وَالرَّاحِ فِي الدَّارِ الْخَرَابِ
وَفَرَعْنَا مِنْ مَنَى الرَّحْمَةِ أَوْ خَوْفِ الْعِقَابِ
وَسَمَوْنَا نَمًّا عَنِ مَاءٍ وَنَارٍ وَتُرَابِ
فَالكِسَا وَالكَأْسُ وَالْعَقْلُ مَعَا رَهْنُ الشَّرَابِ

27

أَمَا تَرَى الْأَزْهَارَ فِيهَا عَبَّتْ يَدُ الصَّبَا
وَمِنْ جَمَالِهَا غَدَا الْبُلْبُلُ يَشْدُو طَرِيَا
فَبَادِرِ الزُّهْرِ وَدَعِ عَنْكَ الْأَسَى وَالْكَرِيَا
فَهَذِهِ الْأَزْهَارُ كَمْ زَهَتْ وَكَمْ عَادَتْ هِبَا

28

قَالَ قَوْمٌ مَا أَطْيَبَ الْحُورَ فِي الْجَنَّةِ
قُلْتُ الْمُدَامُ عِنْدِي أَطْيَبُ
فَاغْنِمِ التَّقْدَ وَاثْرُكَ الدِّينَ وَأَعْلَمِ
أَنَّ صَوْتَ الطُّبُولِ فِي الْبُعْدِ أَعْدَبُ

29

إِنْ تَشْرَبِ الْمُدَامَ أُسْبُوعاً فَلَا
تَدْعُ لَدَى الْجُمُعَةِ قُدْساً شُرِبَهَا
أَلَسَّيْتُ وَالْجُمُعَةُ عِنْدِي اسْتَوِيَا
لَا تَعْبُدِ الْأَيَّامَ وَأَعْبُدِ رَبَّهَا

30

هَذَا أَوْ أَنَّ الصَّبُوحَ وَالطُّرْبَ
وَالْحَمْنَ وَالْحَمَانَ وَأَبْنَةَ الْعَنْبِ
أَصْنَمْتُ نَدِيمِي هَلْ ذَا مَحَلُّ ثَقْيِ
وَأَشْرَبِ وَخَلِّ الْحَدِيثَ وَاجْتَرِبِ

31

لَمْ أَشْرَبِ الرِّيحَ لِأَجْلِ الطُّرْبِ
أَوْ تَرَكْتُ دِيْنِي وَأَطْرَحَ الْأَدْبِ
رُمْتُ الْحَيَاةَ دُونَ عَقْلِ لِحِطَّةٍ
فَهَمْتُ بِالسُّكْرِ لِهَذَا السَّبَبِ

32

لَا عَشْتُ إِلَّا بِالعَوَانِي مُغْرَمًا
وَعَلَى يَدِي تُبْرِ المُدَامِ الدَّائِبُ
قَالُوا سَيَقْبَلُ مِنْكَ رَبِّكَ تَوْبَةً
لَا اللّٰهُ قَابِلُهَُا وَلَا أَنَا تَائِبُ

33

لَا تُثَبِّ قَطُّ عَنِ الرَّاحِ فَكَمْ
تَوْبَةً مِنْهَا يُثُوبُ التَّائِبُ
قَدْ شَدَا البُلْبُلُ وَالْوَرْدُ زَهَا
أَبَدًا الوَقْتِ يُثُوبُ الشَّارِبُ؟

34

نَفْسِي تَمِيلُ إِلَى الحُمَيْيَا دَائِمًا
وَالسَّمْعُ يَهْوِي مِعْزَفًا وَرَبَابًا
إِنْ يَصْنَعُوا كُوزًا تُرَايَ فَمُنِّيَتِي
أَنْ يَمْلَأُوهُ مَدَى الرَّمَانِ شَرَابًا

35

مَا خَلَقَ اللَّهُ رَاحَةً وَهَنَا
إِلَّا لِمَنْ عَاشَ مُفْرَدًا عَزِيًّا
مَنْ تَرَكَ الْأَنْفِرَادَ وَاقْتَرَنَا
فَقَدْ جَنَى بَعْدَ رَاحَةٍ تَعْبًا

36

أَتَى بِي لِهَذَا الْكَوْنِ مُضْطَرِبًا فَلَمْ
تَزِدْ لِي إِلَّا حَيْرَةً وَتَعْجُوبُ
وَعُدْتُ عَلَى كُرْهِ وَكَمْ أَدْرَأُنِّي
لِمَاذَا أَتَيْتُ الْكَوْنَ أَوْ فِيمَ أَذْهَبُ

37

كُلُّ يَوْمٍ أَنْوِي الْمَتَابَ إِذَا مَا
جَاءَنِي اللَّيْلُ عَنِ كُؤُوسِ الشُّرَابِ
فَأَتَانِي فَصَلُّ الرَّهُورِ وَإِنِّي
فِيهِ يَارِبُّ تَائِبٌ عَنِ مَتَابِي

38

مَا زَالَ ظِلُّ عَلِيٍّ الْأَزْهَارِ لِلْسُّحُبِ
وَلَمْ يَزَلْ بِسِيٍّ مَيْلٌ لِابْنَةِ الْعَنْبِ
فَلَا تَنْمُ لَيْسَ ذَا وَقْتِ الْكَرَى وَأَدْرُ
كَاساً حَبِيبِي فَإِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَقْبِ

39

لِمَاذَا غَدَاةَ الرَّبِّ رُكِبَ هَذِهِ الـ
عَنَاصِرَ لَمْ يُحْكَمْ تَنَاسِبَهَا الرَّبُّ
إِذَا رَاقَ مَيْتَاهَا فَفَقِيمَ حَرَائِبَهَا
وَإِنْ لَمْ تَرْقُ مَبْنَى فَمِمَّنْ أَتَى الْعَيْبُ

40

وَجَامَ يَرُوقُ الْعَقْلُ لُطْفاً وَرِقَّةً
وَيَهْفُو عَلَيْهِ الْقَلْبُ مِنْ شِدَّةِ الْحُبِّ
تَفَنَّنَ حَزَافُ الْوَجُودِ بِصُنْعِهِ
وَيَكْسِرُهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى التُّرْبِ

41

كَمْ لِلذِي بَسَطَ الثَّرَى وَبَنَى السَّمَا
مِنْ لَوْعَةٍ بِقُلُوبِنَا وَعَذَابِ
كَمْ مِنْ شِفَاءٍ كَالْعَمِيقِ وَطُرَّةٍ
كَالْمَسْكَ أَوْدَعَهَا حِقَاقُ تُرَابِ

42

أُنْظُرْ حَسَابِكَ مَا أَتَيْتَ بِهِ وَمَا
تَعْدُو بِهِ مِنْ بَعْدِ مَهْمَا تَذْهَبِ
أَتَقُولُ لَا أَحْسُو الطُّلَا خَوْفَ الرُّدَى
سَتَمُوتُ إِنْ تَشْرَبُ وَإِنْ لَمْ تَشْرَبِ

43

كَمْ سِرْتُ طِفْلاً لِتَحْصِيلِ الْعُلُومِ وَكَمْ
أَصْبَحْتُ بَعْدُ بِتَدْرِيسِي لَهَا طَرِيًّا
فَأَسْمَعُ خَتَامَ حَدِيثِي مَا بَلَّغْتُ سَوَى
أَنْي بُدِرْتُ تُرَاباً ثُمَّ عُذْتُ هَبًّا

أَلَا أَرْحَمَ يَا إِلَهِي لِي فُؤَاداً
مِنَ الْأَشْجَانِ أَمْسَى فِي عَذَابِ
وَرَجُلًا بِي سَمِعْتَ لِحَبَانٍ قَبْدَمًا
وَكَفًّا أَمْسَكَتَ قَدَحَ الشُّرَابِ

حرف التاء

45

إِجْعَلُوا قُوتِي الطُّيْلًا وَأَحْيَا
كَهْرِيَاءَ الخُدُودِ لِلْيَقُوتِ
وَإِذَا مِتُّ فَاجْعَلُوا الرِّيحَ غُسْلِي
وَمِنَ الكَرَمِ فَاصْنَعُوا ثَابُوتِي

46

يَقُولُ الْمُتَمُّونَ غَدَا سَتَحْيِي
عَلَى مَا كُنْتَ فِي هَذِي الحَيَاةِ
لِذَا اخْتَرْتِ الحَيْبَةَ وَالْحُمِيَّ
لأخْشَرَ هَكَذَا بَعْدَ المَمَاتِ

47

جَاءَ مِن حَائِنَا النِّدَاءُ سُحَيْرًا
يَا خَلِيعًا قَدْ هَامَ بِالْحَانَاتِ
قُمْ لِكَيْ نَمْلَأَ الْكُؤُوسَ مُدَامًا
قَبْلَ أَنْ تَمْتَلِي كُؤُوسَ الْحَيَاةِ

48

هَبِ الدُّنْيَا كَمَا تَهْوَاهُ كَانَتْ
وَكُنْتُ قَرَأْتُ أَسْفَارَ الْحَيَاةِ
وَهَبَّكَ بَلَّغْتَهَا مِثَّتَيْنِ حَوْلًا
فَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ سِرْوَى الْمَمَاتِ

49

الْبَدْرُ شَقٌّ بِثَوْرِهِ جَيْبَ الدُّجَى
فَأَشْرَبَ فَالْمَنْ تَلَقَى كَنَدِي الْأَوْقَاتِ
وَأَهْنَأُ وَلَا تَأْمَنُ فَهَذَا الْبَدْرُ كَمْ
سَيُضِيءُ فَوَقَّ تَرَى لَنَا وَرَفَاتِ

50

إِن نَأْتِ مِنْ جُنَاطَةٍ رَغِيْبَةً
وَكُوزٍ حَمْرٍ وَفَخْذِ شَاةٍ
وَكَأَنَّ الْفَيْ مَعِي بِقَمْرٍ
فُقْتُ بِذَا عَيْشَةَ الْوَلَاةِ

51

مَنْ نَالَ دُرَّةَ عَقْلِ عَادَ مُنْتَهَاهَا
فَلَمْ يُضْغِ مِنْ تَمِينِ الْعُمْرِ لِحِطَّائِهِ
إِذَا سَمِعَ لِرِضَاءِ اللَّهِ مُجْتَهِدًا
أَوْعَبَّ كَأْسَ الطَّلَا وَاخْتَارَ رَاحَتَهُ

52

مَا اسْتَطَعْتُ كُنْ لِيَبِي الْخَلَاعَةَ تَابِعًا
وَأَهْلِدُمْ بِنَاءَ الصُّومِ وَالصَّلَوَاتِ
وَأَسْمَعُ عَنِ الْخَيَْامِ خَيْرَ مَقَالَةٍ
إِشْرَبُ وَغَنُّ وَسِرُّ إِلَى الْخَيْرَاتِ

104

53

أَحْسَنُ الطَّلَا عَنْكَ يَزُلُّ هَمُّ الْوَرَى
وَقَلْبَةُ الْأُمُورِ أَوْ كَثْرَتُهَا
وَلَا تُجَازِي بِكَيْمِيَاءَ قَهْوَةٍ
تُزِيلُ أَلْفَ عِلْمَةٍ قَطْرَتُهَا

54

جُسُومٌ ذَوِي هَذِي الْقُبُورِ تَحَلَّاتِ
فَبَيْنَ بُحَارٍ قَدِ عَالَا وَرَفَاتِ
فَمَا هَذِهِ الرِّاحُ الَّتِي صَرَعَتْهُمْ
وَلَمْ يَنْهَأُوا مِنْهَا سِوَى جُرَعَاتِ

55

هَلُمَّ حَبِيبِي نَثْرُكَ الْهَمُّ فِي غَدْرٍ
وَتَعْنَمُ قَصِيرَ الْعُمْرِ قَبْلَ فَوَاتِ
سَنُزْمِعُ عَنْ ذِي الدَّارِ رِحْلَتَنَا غَدَاً
بِسَبْعَةِ آلَافٍ مِنْ السَّنِّ السَّنَوَاتِ

56

مَنْ كَانَ نَصْفُ رَغِيْبٍ فِي الْحَيَاةِ لَهُ
وَمَنْ سَكَنَ فِيهِ مَثْوَاهُ وَرَاحَتُهُ
لَمْ يَغْدُ سَيِّدَ شَخْصٍ أَوْ غُلَامَ فَتَى
فَهَيْئَةً فَلَقَدْ رَاقَيْتَ مَعِي شَتُّهُ

57

إِلَى الْحَانَ أَنْغِدُوا كُلَّ يَوْمٍ مُبَكَّرًا
وَأَمْنَحَبْ فِيهِ ثُمَّ أَهْلَ الْخَلَاعَاتِ
فِيَا عَالِمَ الْأَسْرَارِ هَبْنِي هِدَايَةَ
وَرُشْدًا لِأَنْغِدُوا لِلدُّعَا وَالْمُنَاجَاةِ

58

لَا تُخَسِّبْنِي جِئْتُ مِنْ نَفْسِي وَلَا
قَطَعْتُ وَحْدِي ذَا الطَّرِيقِ الْمُعْتَمِتَا
إِنْ يَكُ مِنْهُ جَوْهَرِي وَمَنْشِي
فَمَنْ أَنَا وَأَيْنَ كُنْتُ وَمَتَى

59

كُنْ كَالشُّقَائِقِ مُمَسِكَاً كَأْساً لَدَى النَّـ
ـيْرُوزِ مَعَ وَزْدِيَّةِ الْوَجَّاتِ
وَاشْرَبْ فَإِنَّكَ سَوْفَ تُصْبِحُ كَالثَّرَى
ضِعَّةً بِسَيْرِ الدَّهْرِ ذِي النَّكَبَاتِ

60

الْيَوْمُ يَوْمٌ صِيبَايَ فَلَا تُشْرَبْ بِهِ
كَأْسَ الشَّرَابِ وَأَجْتَنِّي لَدَاتِي
لَا تُزِرْ فِيهِ لَنْ تَنْ يَمُرَّ فَقَدْ حَلَا
لَاغَرَوْا إِنْ يَكُ مَرَّفَهُ وَحَيَاتِي

61

أَحْسُو الْمُدَامَ وَلَا أُعْرِيْدُ قَطُّ أَوْ
كَفِّيْ ثَمَدٌ لِمَا عَدَا الْكَاسَاتِ
تَدْرِي لِمَ اخْتَرْتُ الطَّلَاةَ كَيْلَا أَرَى
يَا صَاحِ مِثْلَكَ مُوَلِّعاً فِي ذَاتِي

62

إِنَّ بَدْرِي يَلُوحُ فِي كُلِّ شَيْءٍ
حَيَوَاناً طَوُوراً وَطَوُوراً نَبَاتاً
لَا تَخْلُقه يَزُولُ هَيْهَاتَ فَالْمَوْ
مُوفُ إِنَّ يَفْنُ وَمَنْفُهُ يَبْقَى ذَاتاً

63

يَا عَالِماً بِجَمِيعِ أَسْرَارِ النُّورِ
وَنَصِيرَهُمْ فِي الْعَجَزِ وَالْكُرْبَاتِ
كُنْ قَابِلاً عُدْرِي إِلَيْكَ وَتَوْبَتِي
يَا قَابِلَ الْأَعْذَارِ وَالتَّوْبَاتِ

حرف الجيم

64

يَا زُبْدَةَ الْخِلَانِ خُذْ نُصْحِي وَلَا
تُصْبِحِ مِنَ الدُّنْيَا بِهِمْ مُزْعِجِ
وَاجْلِسْ بِزَاوِيَةِ اعْتِزَالِكَ وَأَنْظُرْ
أَلْعَابَ دَهْرِكَ نَظْرَةَ الْمُتَفَرِّجِ

65

فَمُ قَبْلَ غَارَةِ الْأَسَى مُبَكَّراً
وَادْعُ بِهَا وَرَدِيَّةَ تَجَلُّو السُّجَى
فَلَسْتَ يَا هَذَا الْغَيْبِيُّ عَسْجَداً
حَتَّى تُوَارَى فِي الْبُورَى وَتُخْرِجَا

حرف الحاء

66

إِنَّ ذَاكَ الْقَمْرَ الَّذِي ضَمَّ جَمَّ شِدِّ
سَدَّ وَفِيهِ تَتَّأَوَّلُ الْأَقْدَا حَا
وَلَكِدَتْ ظَلِيئَةُ الْفَلَاخِ شَنْفَهَا فِي
سُوِّ وَأَمْسَى إِلَى ابْنِ آوَى مَرَا حَا

يَا الْبَهْرَامَ كَيْفَ كَانَ يَصِيدُ الـ
وَحَشَّ مِنْ قَبْلِ غُدُوَّةٍ وَرَوَا حَا
فَانظُرِ الْآنَ كَيْفَ قَدْ صَادَهُ الْقَبْـ
سُرُّ وَأَمْسَى لَا يَسْتَطِيعُ بَرَا حَا

67

نَحْنُ يَا مُفْزِي الْوَرَى مِنْكَ أَدْرَى
لَمْ تُزِلْ عَقْلَنَا مَدَى السُّكْرِ رَاحُ
أَنْتَ تَحْسُو دَمَ الْأَنْسَامِ وَتَحْسُو
دَمَ كَزْمِ فَأَيْنَا السُّفَاخُ

68

إِلَى مَا نَعَانِي لِيْلْمَةَ مِحْنَةً
وَمِنْ بَاطِلِ الْأَفْكَارِ تُمَسِّي بِأَثْرَاحِ
فَعِشْ فِي سُرُورٍ وَأَقْضِ دَهْرَكَ بِأَلْهِنَا
فَلَمْ يَكُلُوا أَمْرَ الْقَضَا لَكَ يَا صَاحِ

69

نَعَمْ أَنَا مِنْ رَاحِ الْمَجُوسِ بِنَشْوَةِ
وَصَبِّ خَلِيْعٍ لَمْ أَزَلْ مُدْمِنَ الرَّاحِ
يَرَى كُلُّ حَزْبٍ فِي رَأْيَا وَمَذْهَبًا
وَإِنِّي لِنَفْسِي كَيْفَمَا كُنْتُ يَا صَاحِ

70

دَعَا لِصَبُوحٍ مَلِيكَ النُّهَارِ
وَلَاخِ سَنَا الفَجْرِ فَوْقَ السُّطُوحِ
وَنَادَى مُنَادِي الأُلى بَكَرُوا
أَلَا فَاشْتَرَبُوا أَن وَقَّتْ الصَّبُوحُ

71

الفَجْرِ لَأَخِ فَقُمَ بِنَايَا صَاحِ
وَأَمَلًا زُجَاجِكَ مِنْ عَمِيقِ الرِّيحِ
فَرَمَانُ أَنْسِكَ إِنْ يَمُتَ لَمْ تَلْقَهُ
وَتَظَلُّ تَشْتَدُّ سَاعَةَ الأَفْرَاحِ

72

لَا تُغْرِسَنَّ فِي الحَشَا غَرَسَ التُّرُخِ
وَأَفْرَأَ حَيِيَّتَ دَائِمًا سِفْرَ الفَرُخِ
وَعَاقِرِ الرِّيحِ وَنَلَّ أَقْصَى المُنَى
فَالْعُمُرُ مَا أَقْصَرُهُ كَمَا أَضْحُ

73

بَادِرْ فَسَوْفَ تَعُوذُ أَدْرَاجَ الْفَنَاءِ
وَسَتَتَّشِرُكَ الْجِنَّةَ إِنْ مِنْكَ الرُّوحُ
وَاشْرَبْ وَعَمِشْ جَذَلًا فَلَسْتَ بِعَالِمٍ
مِنْ أَيْنَ جِئْتَ وَأَيْنَ بَعْدُ تَرُوحُ

74

لِلصُّومِ وَالصَّلَاةِ مِلَّةٌ تَتَسَكَّأُ
فَتَيَقَنُّ نَفْسِي غَدًا بِنَجَاحِي
أَسَفًا فَقَدْ نُقِضَ الْوَضُوءُ بِتَسْمِيَةٍ
وَالصُّومُ زَالَ بِزِصْفِ جُرْعَةٍ رَاحِ

75

إِشْرَبِ الرَّاحَ فَهِيَ رَوْحُ الرُّوحِ
بَلِّسْهُمُ النَّفْسِ وَالْحَشَا الْمَجْرُوحِ
وَلِذَا مَا دَهَاكَ طُوفَانٌ هَمٌّ
فَانْجُ فِيهَا فَذِي سَافِينَةٍ نُوحِ

113

حرف الخاء

76

إِذَا الْعُمُرُ يَمْضِي فَلْيَرْقُ لِي أَوْ يَسُؤْ
وَسَيِّئًا إِنَّ أَهْلَكَ بِيَعْدَادٍ أَوْ بَلْخِ
فَقُمْ وَاحْسِبْهَا فَالشُّهُرُ كَمْ بَعْدَ سَأْخِهِ
إِلَى غُرَّةٍ يَمْضِي وَمِنْهَا إِلَى سَأْخِ

حرف الدال

77

لَا يُورِثُ الدَّهْرُ إِلَّا الْهَمَّ وَالْكَمَدَا
وَالْيَوْمَ إِن يُغَطِّ شَيْئاً يَسْتَلْبَهُ غَمَدَا
مَنْ لَمْ يَجِيئُوا لِهَذَا الدَّهْرِ لَوْ عَلِمُوا
مَاذَا تُكَابِدُ مِنْهُ مَا أَتَوْا أَبَدَا

78

إِنْ لَمْ يَكُنْ حَظُّ الْفَتَى فِي دَهْرِهِ
إِلَّا الرَّدَى وَمَرَارَةُ الْعَيْشِ الرَّدَى
سَعِدَ الَّذِي لَمْ يَخِ فِيهِ لِحَظَّةٌ
حَقّاً وَأَسْعَدُ مِنْهُ مَنْ لَمْ يُؤَلِّسْ

79

لَثَمْتُ مِنْ جَرَّةِ الصَّهْبَاءِ مَرَّشَفَهَا
حِرْصاً لِأَسْأَلَ مِنْهَا عَيْشَةَ الْأَبْدِ
فَقَابَلْتِ شَفَمَتِي بِمَا لَثَمْتُ قَائِلَةً
سِرّاً أَلَا اشْرَبْ فَإِذَا رُحْتُ لَمْ تُعِدْ

80

أَثْرِعْ كُؤُوسَكَ فَالْصَّبَّاحُ قَدِ انْجَلَى
رَاحاً لَهَا يَغْدُو الْعَقِيْقُ حَسُوداً
وَهَأُومٌ بِالْعُودَيْنِ وَاكْتَمَلَ الْهَنَا
وَقَنَّعَ عَلَى عُودٍ وَأَخْرَقَ عُوداً

81

إِرْتَشَفَهَا فَذَا لَعْمَ بِي الْخُلُودُ
فِيهِ تَمْتَارٌ لِلشَّبَابِ عُهُودُ
ذَا أَوَانُ الْأَزْهَارِ وَالرَّاحِ وَالصَّحْخُ
بُ نَسَاوَى فَاهُنَا فَهَذَا الْوَجُودُ

82

العِيدُ جَاءَ فَسَوْفَ يُصَلِّحُ أَمْرَنَا
وَالرَّاحُ لِلأَبْرِيقِ سَوْفَ تَعُودُ
وَيَفُكُ عَن هَذَا الحَمِيرِ لِحَامَهَا
بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ هَذَا العِيدُ

83

لَيْسَ لِنَا العَالَمِ ابْتِدَاءُ
يَبْدُو وَلَا غَايَةَ وَحَدُّ
وَلَمْ أَجِدْ مَنْ يَقُولُ حَقًّا
مَنْ أَيُّنَ جِئْنَا وَأَيُّنَ نَعُدُّ

84

إِنْ لَمْ يُطِيقْ أَحَدٌ مِنَّا ضَمَانَ غَيْرِ
فَطَبَّ بِذَا الوَقْتِ نَفْسًا وَأَنْتَعِشْ كَيْدًا
وَأَشْرَبْ عَلَى ضَوْءِ ذَا البَدْرِ المُنِيرِ فِكْمِ
يُضِيءُ بَعْدُ وَمَتَا لَا يَرَى أَحَدًا

85

لَيْتَ جَالِسَتْ مِنْ تَهْوَاهُ عُمْرًا
وَدُقَّتْ جَمِيعَ لَدَاتِ الْوُجُودِ
فَسَوْفَ تُفَارِقُ الدُّنْيَا كَأَنَّ
الَّذِي شَاهَدْتَ حُلْمًا فِي هُجُودِ

86

لَا تَخْشَ حَدِيثَ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا
لَيْسَتْ بِدَائِمَةٍ عَلَيْنَا سَرْمَدًا
وَأَغْنَمَ قَصِيرَ الْعُمْرِ فِي طَرَبِ وَلَا
تَحْزَنَ عَلَى أَمْسٍ وَلَا تَخْشَ الْغَدَا

87

عَادَ السُّحَابُ عَلَى الْخَمَائِلِ بَاطِلًا
فَالْعَيْشُ لَا يَصْنَعُونَ بِدُونِ الصَّرْحِ
هَذَا الرِّيَاضُ الْيَوْمَ مُنْتَزِعَةٌ لَنَا
فَلَمَنْ رِيَاضُ رُفَاتِنَا هِيَ فِي غَمْرِ

88

أرى أناساً على الغبراء قد هجدوا
ومعشراً تحت أطباق الثرى رقدوا
وإن نظرت لصحراء الفناء أرى
قوماً تولوا وقوماً بعد لم يردوا

89

إجلسن إلى الراح تبلىغ ملك مخمود
وأصنغ للعود تسمع لحن داود
دع ذكر ما لم يجيء أو ما أتى ومضى
والآن فاهناً فهذا خير مقصود

90

إن الألى بلغوا الكمال وأصبجوا
ما بين صخبهم سراج النادي
لم يكشفوا حلك الدياجي بل حكوا
أسطورة ثم اثبتوا لرقاد

91

لَمَّا سَقَانِي فِي فَصْلِ الرَّيِّعِ رَشَاءً
فِي الرُّوضِ كَأَسَا دِهَاقاً تُنْعِشُ الْكَيْدَا
"وَأِنْ يَكُنْ لَمْ يَرْقُ هَذَا الْمَقَالُ فَتَى
فَالْكَأْبُ يَمَضُنُنِي إِنْ أَدَّكَرَ الْخُلْدَا

92

يَا رَبِّ إِيَّاكَ دُو لُطْفِي وَدُو كَرَمِ
فَقِيمٍ لَا يَدْخُلَنَّ الْمُذْذِبُ الْخُلْدَا
مَا الْجُودُ إِعْطَاءُ دَارِ الْخُلْدِ مُتَّقِيَا
إِنَّ الْعَطَاءَ لِأَصْحَابِ الدُّنُوبِ نَدَى

93

بِجَمِيلِ الْأَمَالِ أَفْتِنَيْتُ عُمْرِي
دُونَ أَنْ أِبْلَغَنَّ يَوْمًا مُرَادَا
أَنَا أَخْشَى أَنْ لَا يُسَاعِدَنِي الْعُمُ
رُ لِأَشْفِي مِمَّنْ الرَّمَانِ الْفُؤَادَا

94

يَبْتَئِكُ عَقْلٌ لِلْسَّعَادَةِ طَالِبٌ
مَدَى كُلِّ يَوْمٍ نُصْحَهُ وَيُرَدُّ
أَلَا اغْنَمَ قَصِيرَ الْعُمْرِ لَسْتَ بِنَبْتَةٍ
تَعُودُ فَتَنْمُو بَعْدَ مَا هِيَ تُحْصَدُ

95

أَلَا إِنَّ مَنْ زَانُوا الْوُجُودَ بِخَلْقِهِمْ
أَتَوْا وَتَوَلَّوْا ثُمَّ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدُ
فَكَمْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ خَلْقٌ وَأَنْفُسٌ
تَجِيءُ لِهَذَا الْكَوْنِ مَا بَقِيَ الْفَرْدُ

96

دَعُ ذِكْرًا أَمْسٍ فَهُوَ قَدْ مَرَّ وَدَعُ
ذِكْرًا غَدًا فَإِنَّهُ مَا وَرَدَا
لَا تُعْنِ فِيهِمَا لَمْ يَرِدْ وَمَا مَضَى
وَاشْرَبْ لِثَلَا يَذْهَبَ الْعُمْرُ سُدَى

121

97

لَسْتُ لِدَيْرٍ صَالِحاً كَلاً وَلَا لِمَسْجِدِ
اللَّهِ أَذْرَى بِئْرَى كَوْنٍ مِنْهُ جَسَدِي
لَا دِينَ أَوْ دُنْيَا وَلَا أَرْجُو الْجَنَانَ فِي غَيْرِ
كُمُومِ دَمِيمَةٍ أَوْ كَفَقِيرٍ مُلْجِدِ

98

لِهَلَاكِنَا تَجْرِي السَّمَاءُ وَمَا لَهَا
إِلَّا اغْتِيَابُ نُفُوسِنَا مِنْ مَقْصَرِ
إِجْلِسِ بِزَاهِي الرُّوضِ وَأَرْتَشِفِ الطَّلَا
فَالرُّوضُ يَنْبُتُ مِنْ تَرَانَا فِي غَيْرِ

99

كَالْمَاءِ فِي النَّهْرِ أَوْ كَالرِّيحِ وَسَطَ فَلَا
الْأَمْسُ مِنْ عُمْرِنَا وَلَى وَلَمْ يَغْرِ
يَوْمَانِ مَا عِشْتُ لَا أَعْنَى بِأَمْرِهِمَا
يَوْمٌ تَوَلَّى وَيَوْمٌ بَعْدُ لَمْ يَرِدِ

100

إِنَّ ذَاكَ الْقَصْرَ الَّذِي زَاخَمَ الْا
أَفْقَ وَخَرَّتْ لَهُ الْمُلُوكُ سُجُودًا
هَتَفَ الْوَرْقُ فِي ذُرَاهُ يُبَادِي
أَيْنَ مَنْ صَيَّرُوا الْمُلُوكَ عبيدا

101

أَقْطُفْ وَعَاقِرْ كَأَسْهَاهَا مَعَ شَادِنِ
كَالسَّرْوِ قَدًّا وَالزُّهُورِ خُدُودًا
فَسَيَعْتَدِي كَالْوَرْدِ مِنْ كَفِّ الرَّدَى
ثُوبُ الْحَيَاةِ مَخْضِبًا مَقْدُودًا

102

مَا نَفَعَ الدَّهْرَ مَجِيئِي وَلَا
يَزِيدُهُ شَأْنًا رَحِيلِي غَدًا
مَا سَمِعْتَ أذْنَائِي مِنْ قَائِلِ
مَا نَفَعَ ذَا الْعَيْشِ وَجَدْوَى الرَّدَى؟

123

103

سُرورُ حَشَا يَفوقُ لَدَيَّ أَجْرًا
عَلَى تَعْمِيرِ أُنْحَاءِ الوُجُودِ
وَجَعَلَ الحُرَّ بالإِخْسَانِ عَبْدًا
أَرَاهُ يَفوقُ تَحْرِيرَ العَبِيدِ

104

لِلنَّجْمِ يعلُو زَفِيرِي كُـلَّ داجيةِ
وَسَائِلُ دَمْعِي يَمُدُّ البَحْرَ في مَدَدِ
قَدْ قُلْتُ لِي سَوْفَ نَحْسُو الرِّاحَ بَعْدَ غَدِ
لَعَلَّ عُمْرِي لَا يَمْتَدُّ بِي لَعَدِ

105

خَلَّ الهَنَاءَ فَعَمَرْنَا نَفْسٌ وَمِنْ
جَمَشِيدِ ذُرَّاتِ النُّـرى وَقُبَادِ
لَيْسَ الوُجُودُ وَعَمَرْنَا الفَانِي سَوِي
وَهُمِ وَتَضَلَّلِ وَحَأْمِ رُقَادِ

124

106

قَالَ شَيْخٌ لِمُوسَى أَنْتَ سَكْرِي
كُلُّ أَنْ بِصَاحِبِي لَيْسَ وَجَدُ
فَأَجَابَتْ إِنْ نِي كَمَا قُلْتَ لَكِنْ
أَنْتَ حَقًّا كَمَا لَدَى النَّاسِ تَبْدُو؟

107

دَعِ كُلَّ قَلْبٍ لَمْ يُمَارِجْهُ الْهَوَى
أَحْوَاهُ دَيْرٌ أَمْ حَوَاهُ مَسْجِدُ
وَيَدْفُتِرُ الْعُشَّاقِ مَنْ خُطَّ اسْمُهُ
لَمْ يَعْنِهِ خُلْدٌ وَنَارٌ تَوْقَدُ

108

يَا صَاحِبَ الدَّلِّ هَذَا الْفَجْرُ لَاحَ فَقُمْ
وَعَنْ وَأَشْرَبْ وَأَطْفِئِ حُرْقَةَ الْكَبِيرِ
فَمَنْ تَرَاهُمْ هُنَا لَنْ يَلْبَثُوا أَمْدًا
وَلَنْ يَعُودَ مِنَ الْمَاضِينَ مِنْ أَحَدٍ

125

109

الْمَالُ إِن لَّمْ يَغْدُ ذُخْرًا أُولَى النَّهَى
فَالْفَاقِدُونَ لَهُ بِعَيْشِ أَنْكَرِ
أَضْحَى الْبِنْفُسِجُ مُطْرِقًا مِنْ فِقْرِهِ
وَالْوَرْدُ يَضْحَكُ لِإِقْتِاءِ الْعَسْجَرِ

110

كَانَ هَذَا الْكُوزُ مِثْلِي عَاشِقًا
وَالهِيَ فِي صَدْعِ ظَنِّي أَعْيَبِ
وَأَرَى عُرْوَتَهُ كَأَنَّكَ يَدًا
طَوَّقْتَ جِيدَ حَبِيبِي أَجِيَبِ

111

تَسْأَلُنِي مَا هَذِهِ النَّفْسُ إِنْ أَقْلُ
حَقِيقَتُهَا يَضْمُوا الْكَلَامَ وَيَمْتَدُّ
هِيَ النَّفْسُ مِنْ بَحْرِ بَدَتْ ثُمَّ إِنَّهَا
تَغِيبُ بِذَلِكَ الْبَحْرِ يَا صَاحِبَ مِنْ بَعْدُ

126

112

قَضِينَا وَلَمَّا نَقَضِ وَأَسْفِي الْمُنَى
وَمِنْجَلُ ذِي الزُّرْقَاءِ لَجَّ بِنَا حَصْنَا
فَلَهْمَاهُ مَا كَدْنَا لِنَمُتَحَ طَرْقَنَا
إِلَى أَنْ فَتِينَا دُونَ أَنْ نُدْرِكَ الْقَصْنَا

113

أَيَا خَزَافُ إِنْ تَشْعُرُ فَحَاذِرُ
إِلَى مَ تَهْمِينُ أَنْتَ تُسْرِى الْعِبَادِ
سَوَحَقَّتْ بَنَانِ إِفْرِيدُونَ ظَلَمَاءُ
وَدُسْنَتِ الْكَفَّ مِنْ كِسْرِ قُبَادِ

114

إِلَيْكَ نُصْنَجِي إِذَا مَا كُنْتُ مُسْتَبِعاً
لَا تَلْبَسَنَّ نُوبَ تَدْلَيْسِ عَلَى الْجَسَدِ
الْعُمْرُ يُفْنِي وَعُقْبَى الْمَرْءِ دَائِمَةٌ
فَلَا تَبِيعَنَّ بِنَانِ عَيْشَةَ الْأَبْرِ

115

قَدْ قِيلَ لِي رَمَضَانُ جَاءَ فَسَوْفَ لَا
تَسْتَطِيعُ رَشْفًا لَا بُدَّ مِنَ الْعُنْتِ
فَسَأَحْتَسِي بِخِتَامِ شَعْبَانَ الطُّلَا
عَلَّا لَيْتَ صَرَعَنِي لِيَوْمِ الْعَيْدِ

116

خُذْ بِالسُّرُورِ فَكَمْ بِفِكَرِكَ فَكَّرُوا
بِالْأَمْسِ دُونَ بُلُوغِ أَدْنَى مَقْصَدِ
وَأَنْعَمَ فَإِنَّهُمْ بِالْأَمْسِ قَرُّوا
لَكَ دُونَ أَنْ تَدْعُوهُمْ أَمْرًا الْغَدِ

117

يَا مَنْ تَوَلَّدَ مِنْ سَبْعٍ وَأَرْبَعَةٍ⁽¹⁾
وَرَأَى مِنْهَا يُعَانِي سَعْيَ مُجْتَهِدٍ
إِشْرَبَ فَكَمَ لَكَ قَدْ كَرَّرْتُ مَوْعِظَتِي
إِنْ رُحْتَ رُحْتَ وَلَمْ تَرْجِعْ وَلَمْ تُعَدِّ

118

لَا عَيْشَ لِي بِسِوَى صَاحِبِ الْمُدَامِ وَلَا
أَطِيقُ حَمْلًا بِدُونِ الرَّاحِ لِلْجَسَدِ
مَا أَطِيبَ السُّكَّرَ وَالسَّاقِي يُنَاوِلُنِي
كَأَسًا وَتَعَجُّزًا عَنِ أَخْذِ الْكُؤُوسِ يَدِي

⁽¹⁾ المقصود من السبع الأفلاك السبعة ومن الأربعة العناصر الأربعة.

حرف الراء

122

عَلَامَ تَأْسَى لِلذَّنْبِ يَا عَمْرُ
مَاذَا تُقِيدُ أَلْهُمُومُ وَالْفِكَرُ
لَا عَفْوَ عَمَّنْ لَمْ يَجْنِ مَعْصِيَةً
الْعَفْوَ عَمَّنْ عَصَى فَمَا الْحَذَرُ

123

إِلَى مَ بِهِذَا الْحَرْصِ تَقْضِي مَدَى الْعُمْرِ
وَتُصْبِحُ لِلْإِثْرَاءِ وَالْفَقْرِ فِي فَكْرِ
أَلَا اشْرَبْ فَعُمْرٌ سَوْفَ يُعْقِبُهُ الرَّدَى
حَقِيقٌ بِأَنْ تَقْضِيَهُ بِالنُّومِ وَالسُّكْرِ

130

124

مُنْزِلُ أَزْدَهَرَتْ بِالْبَدْرِ وَالزُّهْرَةَ السَّمَا
إِلَى الْآنَ لَمْ يُوجَدْ أَلَدُّ مِنَ الْخَمْرِ
فَيَا عَجَبِي مِنْ بَائِعِ الرَّاحِ هَلْ يَرَى
أَعَزُّ مِنَ الصُّهْبَاءِ إِنْ بَاعَهَا يَشْرِي

125

إِنَّ دِينَيَ الْهِنَا وَرَشْفُ الْحُمَيْيَا
وَأَبْتَعَادِي عَنْ كُلِّ دِينَ وَكُفْرٍ
قُلْتُ مَاذَا يَكُونُ مَهْرُ عَرُوسِ الدِّ
هَرٍ قَالَتْ جَدْلَانُ قَلْبِكَ مَهْرِي

126

كَانَ يَبْدُو قَبْلِي وَقَبْلَكَ صُبْحٌ
وَدُجَى وَالسَّمَا تَدُورُ لِأَمْرِ
طَأْ بِرِفْقٍ هَذَا التُّرَابَ فَتَقْدَمًا
كَانَ إِنْسَانٌ عَيْنِ ظَبْيِي أَغْرُ

127

إِن كُنْتُ قَبْلُ أَتَيْتُ الدُّنْيَا بِدُونِ اخْتِيَارِ
وَسَوْفَ أَرْحَلُ حَتْمًا عَنْهَا غَدًا بِاضْطِرَارِ
فَقُمْ نَدِيمِي سَرِيعًا وَأَعْقِدْ نِطَاقَ الْإِزَارِ
فَسَوْفَ أَغْسِلُ هَمَّ الدُّنْيَا بِصَافِي الْعُقَارِ

128

عِشْ وَالْمُدَامَ بِضَنْقَةِ النَّهْرِ
وَدَعْ الِهُمَّ وَوَمَ بَجَازِ سَبِّ تَجْرِي
يَوْمَ إِذَا ذَا الْعُمُرُ التَّمِينُ فَعِشْ
طَلَّقَ الْمُحَيَّا بِاسْمِ النَّعْرِ

129

شَاهَدْتُ أَلْفِي جَرَّةً فِي مَعْمَلِ
تَدْعُو وَكَلِمَ تَفْتَحُ بِطُوقِ فَاهَا
فَإِذَا بِإِحْدَاهَا تُتَادِي أَيَّنَ مَنْ
صَنَعَ الْجِرَارَ وَيَاعَهَا وَشَرَاهَا

132

130

كَتَمْتُ رَةَ عَادَتِ إِلَى الْخِضْمِ أَوْ
كَدَّرْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى التُّرَى
أَتَيْتُ لِلدُّنْيَا وَعُدْتُ حَاكِيًا
ذُبَابَةً بَدَّتْ وَغَابَتْ أَكْرَا

131

لَيْتَ عُمُرْتُ صَاحِي أَلْفَ حَوْلٍ
فَسَوْفَ تَعَافُ هَذَا الدَّارَ قَهْرًا
وَإِنْ تَكُ سَائِلًا أَوْ رَبُّ تَجَاجٍ
فَإِنَّ غَدًا سَيَسْتَوِيَانِ قَدْرًا

132

سَعَى لِقُصُورِ الْخُلْدِ وَالْحُورِ مَعَشَرًا
وَإِنْ فَرِيقًا بِالْجُزَافِ قَدْ اغْتَرَا
سَيَبْدُو لَهُمْ إِنْ يَنْجِلِ السِّتْرَ أَنَّهُمْ
نَاوَأَعْنُكَ أَقْصَى النَّأْيِ فِي ذَلِكَ الْمَسْرَى

133

133

كُلُّ عَشْبٍ يَبْدُو بِخَفَّةِ نَهْرٍ
قَدْ نَمَّ مِنْ شِفَاؤِ ظَبْيِ أَغْرٍ
لَا تَطَأُ وَيَحَاكَ الثُّبَاتَ احْتِقَاراً
فَهُوَ نَامٍ مِنْ مُزْهِرِ الْخَدِّ ضَرٍ

134

مَا بَيْنَ أَفْقٍ لَا ظُهُرَ لِعَوْرِهِ
إِشْرَبَ فَإِنَّ الدَّهْرَ لَجَّ بِجَوْرِهِ
وَأَجْرَعُ بِدَوْرِكَ صَابِراً كَأَسِ الرَّدَى
فَالْكُلُّ سَوْفَ يَذُوقُهَا فِي دَوْرِهِ

135

لَأَرْتِ شِفَاؤَ الْمُدَامَةِ أَيَّ وَقْتِ
وَإِنْ يَكُ أَشْرَفَ الْأَوْقَاتِ قَدْرَا
مَالَتْ السُّدُنُ مِنْ عَنَابِ حَالِلِ
فَقُلْ لِلَّهِ لَا يَجْعَلُنَّهُ خَمْرَا

134

136

أَيَا فَلَكَا يَجْرِي بِيُوسِي خَلَنِي
فَلَسْتُ حَرِيًّا أَنْ تَسُومَنِي الْأَسْرَا
إِذَا كُنْتَ تَهْوَى غَيْرَ حُرٍّ وَعَاقِلٍ
فَلَسْتُ كَمَا قَدْ خَلْتَنِي الْعَاقِلَ الْحُرَا

137

أَلَا لَيْتَ الْوَاءَ يَكُـونُ أَوْ أَنْ
يَكُـونَ لَنَا انْتِهَاءً فِي الْمَسِيرِ
وَلَيْتَ لَنَا وَإِنْ سَلَفَتْ قُرُونٌ
رَجَاءً أَنْ سَتُنْتَبِتَ كَالزُّهُورِ

138

رَأَيْتُ فِي حَائِةٍ شَيْخًا فَقُلْتُ لَهُ
أَلَا تُخَبِّرُنَا عَمَّنْ مَضَوْا خَبْرَا
قَالَ ارْتَشِفْنَهَا فَكَمْ أَمْثَالُنَا رَحَلُوا
وَلَمْ يَعُودُوا وَلَمْ نَشْهَدْ لَهُمْ أَكْرَا

135

139

مَرَرْتُ بِمَعْمَلِ الْخَزَافِ يَوْمًا
وَكَانَ يَجِدُ فِي الْعَمَلِ الْخَطِيرِ
وَيَصْنَعُ لِحِجَارٍ عُرَى تَرَاهَا
يَسُدُّ الشَّحَاذَ أَوْ رَأْسُ الْأَمِيرِ

140

عَاطِنِي الرَّاحَ فَهِيَ قُوتٌ لِنَفْسِي
وَأَسْقِنِيهَا وَإِنْ تَزِدْ فِي خُمَارِي
إِنَّ هَذِي الدُّنْيَا أَسَاطِيرُ وَهَمِّ
وَحَيَاةٍ وَالْعُمُرُ كَالرِّيحِ سَارِي

141

رَأَيْتُ فِي السُّوقِ خَزَافًا غَدَاً دَقْبًا
يَدُوسُ فِي الطِّينِ رِكَلاً غَيْرَ ذِي حَذَرِ
وَالطِّينُ يَدْعُو لِسَانُ الْحَالِ مِنْهُ أَلَا
قَدْ كُنْتُ مِنْكَ فَارِقٌ بِي وَلَا تُجْرِ

136

142

قِيلَ خُلِدْ غَدًا وَحُورٌ وَكَوْثُرُ
أَنْهَرٍ مِنْ طِلَالٍ وَشَهْدٍ وَسُكْرٍ
فَعَلَى ذِكْرِهَا أَدْرَسِي كَأَسَا
إِنَّ نَقْدًا مِنْ أَلْفِ دِينَ لَأَجْدَرَ

143

يَقُولُونَ حُورٌ فِي الْعِدَاةِ وَجَنَّةٌ
وَكَمَّةٌ أَنْهَارٌ مِنْ الشَّهْدِ وَالْحَمْرِ
إِذَا اخْتَبَرْتُ حُورَاءَ هُنَا وَمُدَامَةً
فَمَا الْبَأْسُ فِي ذَا وَهُوَ عَاقِبَةُ الْأَمْرِ

144

كَمْ فِتْنَةٌ قَدِمَا أُنَارَ مِنَ الثُّرَى
إِذْ كَوْنُ الْبَارِي تُرَايَ وَصَوْرًا
أَنَا لَا أَطِيقُ تَرْفِيًا عَمَّا أَنَا
فِيهِ فَطَلَيْتَنِي أَفْرَغُوهُ كَمَا تُرَى

145

فَيَمِمْ وَرَوْضُ سَعْدِكَ الْيَوْمَ زَهَا
كَفُّكَ مِنْ كَأْسِ الْمُدَامِ تُصْفَرُ
إِشْرِبْ فَهَذَا السُّدْهُرُ خَصْنَمٌ غَادِرٌ
وَيُنِيلُ مِثْلَ الْيَوْمِ سَوْفَ يَغْسُرُ

146

هَاتِ دُوبَ الْعَقِيْقِ وَسَطَّ رُجَاجِ
هَاتِ خَيْرَ الْجَلِيْسِ لِلْأَخْرَابِ
إِنَّمَا عَالَمُ الثُّرَابِ كَرِيحِ
يُنْقِضِي مُسْرِعاً فَجِيءَ بِالْعُقَارِ

147

مَا تَصْنَعُ الْأَفْلَاكُ يَوْمَ طَيْنَةٍ
إِلَّا وَتَكُنْ سِرُّهَا وَتُرْجِعُهَا التُّرَى
لَوْ كَانَ يَحْتَمِلُ السَّحَابُ تَرَى غَدَا
لِنَشُورِنَا بِدَمِ الْأَعْرَةِ مُمَطَّرَا

148

إِذَا كُنْتَ تَسْمَى فِي الْحَيَاةِ لِمَطْعَمٍ
إِلَى مَشْرَبٍ أَوْ مَلْبَسٍ فَالْكَ الْعَذْرُ
وَفِيمَا عَدَا هَاتِيكَ فَالْسَّغِي ذَاهِبٌ
هَبَاءٌ فَحَاذِرٌ أَنْ يَضِيعَ بِهِ الْعُمُرُ

149

غَسَلَ الرَّبِيعَ بَعِيْثُهُ الصَّحْرَاءَ وَالْأُ—
فَرَا حُ عَادَتْ لِلزَّمَانِ فَأَزْهَرَا
إِشْرَبَ وَمُخَضَّرَ الْعِذَارِ بِرَوْضَةٍ
لِتَسْرُ مَنْ مِنْ رَمْسِهِ اخْضَرَ الثُّرَى

150

مَتَى افْتَلَعْتَ كَفَّ الْمَنِيَّةِ دَوْحَتِي
وَعُدْتُ لَدَى أَقْدَامِهَا أَنْعَقْتُ
فَلَا تَصْنَعُوا طِينِي سِوَى كُوزِ قَرْقَضٍ
عَسَى يَمْتَلِي بِالرَّاحِ يَوْمًا فَأُنْشَرُ

139

151

لَمْ يَبْقَ مِنِّي فِي الدُّنْيَا سِوَى رَمَقٍ
وَلَيْسَ فِي الْيَدِ مِنْ صَخْبِي سِوَى الْكَدْرِ
لَمْ يَبْقَ لِي مِنْ طِلَا أَمْسِي سِوَى قَدَحٍ
وَلَسْتُ أَعْلَمُ مَا الْبَاقِي مِنَ الْعُمُرِ

152

حَتَّى مَ ذَكَرُكَ لِلْجَنَانِ أَوْ الْجَعِيمِ الْمُسْعَرَةَ
وَإِلَى مَتَى سُرُجُ الْمَسَاجِدِ أَوْ بَحُورُ الْأَذْيَرَةِ
أَنْظُرُ إِلَى لَوْحِ الْقَضَا وَاسْتَجَلِّ وَأَقْرَأُ أَسْطَرَّةَ
فَاللَّهُ قَدِمًا كُلُّ مَا هُوَ كَائِنٌ قَدْ قَدَرَهُ

153

كُلُّ شَيْءٍ يَدُوسُهُ حَيَّوَانٌ
كَانَ صَدْعًا أَوْ حَاجِبًا لِفَرِيرِ
وَكَذَا اللَّبَنُ فِي ذُرَى كُلِّ قَصِيرِ
رَأْسُ مَلِكٍ أَوْ إِصْبَاحُ لِي وَزِيرِ

140

154

لَا تُغْضِبَنَّ عَلَيَّ النَّشَاوَى وَالْتِزِمِ
حُسْنَ السُّلُوكِ وَسِرِّيرَةَ الْأَخْيَارِ
وَاشْرَبْ فَلَسْتَ بِشَرِّهَا أَوْ تَرْكُهَا
تَرِدُ الْجَنَانَ وَأَنْتَ طُعْمَةٌ نَارِ

155

أَخْصِافُ أَنْ لَا أَعْمِيشَ بَعْدُ وَلَا
أُذْرِكُ جَمْعَ الرَّفَاقِ إِنْ حَاضَرُوا
فَلْتَمَنَّ نِمَّ لِحَظَّةٍ نَعْمِيشُ بِهَا
لَعَلَّ مِنْ بَعْدُ يُنْفَخُ الْعُمُرُ

156

قَالُوا أَلَا إِنَّ النَّشَاوَى فِي لَطْفٍ
قَوْلٌ لَهُ عَقْلُ الْمُفَكَّرِ مُنْكَرُ
إِنْ كَانَ مَنْ يَهْوَى وَيَسْكُرُ فِي لَطْفٍ
سَتَرَى الْجِنَانَ كَرَاخَةَ الْيَدْرِ تُصْفَرُ

157

أَرَانِي مِنَ الصُّهْبَاءِ لَمْ أَصْحُ لِحَظَّةً
وَأَثْمَلُ حَتَّىٰ إِنْ تَكُنْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ
أَعَانِقُ دِنْسًا أَوْ أَقْبَلُ أَكُوسًا
وَكَفِّي بِجِيدِ الْكُوزِ تَبْقَىٰ إِلَى الْفَجْرِ

158

وَشَيْخِ بَنِي السُّكْرِ مُغْمَرٍ رَأَيْتُهُ
وَلَمْ تَبْقَ فِيهِ فِطْنَةٌ وَشُعُورُ
حَسَاها وَأَغْمَىٰ وَهُوَ نَشْوَانٌ قَائِلًا
إِلَهِي لَطِيفٌ بِالْعِبَادِ غَفُورُ

159

قَدْ قِيلَ لِي قَلَّ تَعَاطِي الْخَمْرِ
بِأَيِّ عُذْرٍ لَمْ تَنْزَلْ فِي سُكْرِ
نُورِ الطَّلَا عُذْرِي وَخَدُّ السَّاقِي
فَهَلْ تَرَىٰ أَوْضَحَ مِنْ ذَا الْعُذْرِ

160

إِنَّ أَجْرَامَ ذَا الرِّوَاقِ الْمُعَلَّى
حَيَّرَتْ مِنْ ذَوِي النُّهَى الْأَفْكَارَا
إِحْتِفَظًا فِي شَرِيفِ عَقْلِكَ وَأَنْظُرْ
دَوْرَ هَذِي الْمُدَبِّرَاتِ حَيَارَى

161

قُمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ اللَّيِّبُ مُسَارِعاً
وَأَنْظُرْ لِدَاكِ الطُّفْلَ يُذْرِي بِالنُّرَى
فَأَنْصَحْهُ أَنْ يُذْرِي بِرِفْقِ عَيْنِ بَرٍّ
وَيَزِرْ وَمُخَّ قُبَادِ سُلْطَانِ النُّورَى

162

لَمْ يَهْنِ فِي هَذَا الزَّمَانِ سِوَى امْرِئٍ
عَرَفَ الْوَجُودَ بِخَيْرِهِ وَيَشْرَهُ
أَوْ غَافِلٍ عَنِ نَفْسِهِ
لَمْ يَذِرْ مَا فِي نَفْسِهِ أَوْ دَهْرِهِ

143

163

هَلِ الْجَامَ مَهْمًا تَمَّ صُنْعًا وَدِقَّةً
يَرَى كَسْرَهُ مَنْ كَانَ مُنْتَشِيًا سُكْرًا
فَقَيْمَ بَرَى الْخَلَاقُ سَاقًا لَطِيفَةً
وَرَأْسًا وَكَفًّا تَمَّ يَكْسِرُهَا كَسْرًا

164

لَوْ كَانَ لِي كَاللَّهِ فِي فَلَكَ يَدٌ
لَمْ أَبْقِ لِلْأَفْلاكِ مِنْ آثَارِ
وَخَلَقْتَ أَفْلاكًا تَدُورُ مَكَانَهَا
وَتَسِيرُ حَسْبَ مَشِيئَةِ الْأَخْرَارِ

165

مَا أَسْرَعَ مَا يَسِيرُ رُكْبُ الْعُمَرِ
قُمْ فَاغْنِمِ لِحَظَّةَ الْهَنَّا وَالْبِشْرِ
دَعِ هَمَّ غَمَلٍ لِمَنْ يَهْمُونَ بِهِ
وَاللَّيْلُ سَيَنْقُضِي فَجِيءَ بِالْخَمْرِ

166

قَالُوا دَعِ الرَّاحَ سَتَلْقَى السَّيْلًا
مِنْهَا وَتُلْقَى فِي لَطْفِي مُسْنَعَةً
نَعْمَ وَلَكِنْ نَشِوْتِي لِحَظَّةً
أَحْلَى مِنْ الدُّنْيَا مَعَ الْآخِرَةِ

167

أَوْجَدْتَنِي يَا رَبُّ مِنْ عَدَمٍ وَلاي
أَسْتَدَيْتَ فَضْلاً مَا لَهُ مَقْدَارُ
عُذْرِي بِأَنِّي عِنْدَ حُكْمِكَ عَاجِزُ
مَا دَامَ يَوْمًا مِنْ تَرَايَ غُبَارُ

168

كَمْ جُبْتُ مِنْ وَادٍ وَسَهْلٍ دُونَ أَنْ
أَحْظَى بِتَحْسِينِ لِبَعْضِ أَمْوَرِي
فَدَسَّرْتَنِي أَنَّ الْحَيَاةَ قَدْ انْقَضَتْ
عَنِّي وَإِنْ تَكُ مَا انْقَضَتْ بِسُرُورِ

145

169

قَدْ دَاعَبَتْ رِيحُ الصَّبَا الْوَرْدَ وَقَدْ
هَاجَ الْهَزَارَ حُسْنُهُ فَاسْتَبَشَّرَا
إِجْلِسْ لَدَى الرَّهْرِ فَكَمْ عَلَى الثُّرَى
تَتَأَثَّرُ الْأَزْهَارُ إِذْ نُحْنُ نُثْرَى

وقد ورد البيت الثاني من الرباعية المذكورة بشكل آخر
هذا تعريبه:

إِجْلِسْ بِظِلِّ الرَّهْرِ فَالْأَزْهَارُ كَمْ
مِنَ الثُّرَى بَدَتْ وَعَادَتْ لِلثُّرَى

170

أَلَا لَيْتَ رَبِّي يَقْلِبُ الْكَوْنُ بَعْتَةً
وَيُنْشِئُهُ حَالًا لِأَنْظُرَ مَا يَجْرِي
فَإِذَا يَزِيدُ الرَّزْقَ لِي أَوْ يُمِئْتُنِي
وَيَمْحُو اسْمِي الْمَسْطُورَ مِنْ دَفْتَرِ الدَّهْرِ

171

هَاتِ الْمُدَامَ فَفِي الْفُوَادِ لَوَاعِجٌ
وَالْعُمُرُ مِثْلُ الزُّبَيْقِ الْقَرَارِ
إِنْهُضْ فَيَقْطَعُ عُمْرِنَا نَوْمٌ وَمَا
نَارُ الصَّبَا إِلَّا كَمَا جَارِي

172

قَالُوا سَيَشْتَدُّ الْجَسَابُ بِنَا غَدًا
وَيَضِيقُ صَدْرُ حَبِينَا فِي الْمَحْشَرِ
أَيْكُونُ مِنْ حَسَنِ سَيِّدِي حَسَنٌ إِذْ
حَسُنْتُ عَوَاقِبُنَا فَطَلَبْنَا وَاسْتَبْشَرْنَا

173

سَأَلْتُكَ هَلْ زَادَتْ بِمَأْكَلِكِ طَاعَتِي
وَهَلْ أَنْقَصَتْ مِنْهُ خَطَايَايَ مِنْ قَدْرِ
فَدَعْنِي وَدَعْ نَصْرِي فَطَبِّعْكَ بَانَ لِي
سَرِيعٌ لِيخْذِلَانِ بَطِيءٌ عَنِ النَّصْرِ

147

174

أَسْأَلُكَ سَبِيلَ بَنِي الْحَانَاتِ وَأَسْنَعُ إِلَى
رَاحٍ وَعَمُودٍ وَظَبْنِي يُبْهِجُ النَّظْمَ رَا
فِي الْكَفِّ كَأَسُّ وَفَوْقَ الْمَثْنِ كُورُ طِلَافٍ
إِشْرَبْ حَبِيبِي الْحَمِيًّا وَأَثْرُكَ الْهَنْدَرَا

175

لَمْ يَنْمُ فِي الصَّحْرَاءِ رَوْضُ شَقَائِقِي
إِلَّا وَكَانَ دَمًا جَرَى لِأَمِيرِ
وَكِذَلِكَ كُلُّ وُرَيْقَةٍ بَيْنَهُ سَجَّ
خَالَ بَدَا زَمَنًا بِخَدِّ غَرِيرِ

176

إِنْ كُنْتَ تَفَقَّهُه يَا هَذَا الْفَقِيهَ فَلِمَ
تَلْحُو فَلَا سِرْفَةً دَائِلُوا بِأَفْكَارِ
هُمُ بِيْحُثُونَ عَنِ الْبَارِي وَصَانِعَتِهِ
وَأَنْتَ تَبْحَثُ عَنْ حَايِضٍ وَأَقْدَارِ

177

أَتَذْرِي لِمَاذَا يُصْبِحُ الدِّيكُ صَائِحاً
يُرَدِّدُ لَحْنَ النُّوْحِ فِي غُرَّةِ الفَجْرِ
يُنَادِي لَقَدْ مَرَّتْ مِنَ العُمُرِ لَيْلَةٌ
وَهَا أَنْتَ لَمْ تَشْعُرْ بِذَلِكَ وَلَا تَذْرِي

178

هَذَا الفَضَاءُ الَّذِي فِيهِ نَسِيرُ حَكِي
فَانُوسٍ سَجَرٍ خَيَالِيًّا لَدَى النُّظَرِ
مِصْبَاحُهُ الشَّمْسُ وَالْفَانُوسُ عَالَمُنَا
وَنَحْنُ نَبْدُو حَيَارَى فِيهِ كَالصُّورِ

179

إِذَا لَمْ أَكُلْ وَرَدَا فَحَسْبِي شَوْكُهُ
وَإِنْ لَمْ أَكُلْ نُوراً كَفَتْ عِنْدِي النَّارُ
وَإِنْ لَمْ أَكُنْ شَيْخاً بُرُزْدٌ وَتَكْيِةٌ
فَحَسْبِي نَاقُوسٌ وَدَيَّرٌ وَزِنَارُ

149

دَخَلْتُ فِي الْحَانِ نَشْوَانًا وَكَانَ بِهِ
شَيْخٌ عَلَى مَثَرِهِ كُوزٌ وَقَدْ سَكِرَا
فَقُلْتُ هَلْ مِنْ اللَّهِ اعْتِرَاكَ حَيًّا
قَالَ احْسُهَا فَهَوَّيَعْفُو وَاتْرِكِ الْهَدْرَا

حرف الزاي

181

عَنِ الهمِّ أَعْرِضْ مَا اسْتَطَعْتَ وَلَا تَدْعُ
لِما مَرَّ أَوْ ما لَمْ يَرِدْ فِي الحِشا وَخُزْ
وَعِشْ وَارْتَشِفْ وَاهْتَأْ فَلَسْتَ بِأَخْبِرِ
لِرُمْسِكَ مِنْ فُلْسٍ وَإِنْ تَمَّتْكَ كَنْزَا

151

حرف السين

182

يَا لِهَذَا الْقَلْبِ الْبَيْسِ الْمُعْتَى
لَمْ يُفِقْ مِنْ هَوَى الْحَبِيبِ الْقَاسِي
مُنْذُ أَدَارُوا سُلافَةَ الْحُبِّ قَدَمًا
مَلَأُوا مِنْ دَمِ الْحُشاشَةِ كَاسِي

183

حَتَّى مَ أَصْبِحُ فِي هَمٍّ بِأَنِّي هَلْ
أَهْنَأُ وَأَحْزَنُ أَوْ أَثْرِي وَأَبْتَسُّ
هَاتِ الْمُدَامَ فَإِنِّي لَسْتُ أَعْلَمُ هَلْ
مَتَى زَفَرْتُ لِمَنْدَرِي يَرْجِعُ النَّفْسُ

184

الرَّاحُ أَطْيَبُ لِي مِنْ مُلْكِ طُوسَ وَمِنْ
سَرِيرِ كِسْرَى وَتَخْتِ الْمَلِكِ قَابُوسِ
وَأَمَّا أَلَّةُ السَّكْرِ فِي سَحْرِ
خَيْرٍ مِنَ الزُّهْدِ وَالتَّقْوَى بِتَدْلِيسِ

185

رُبَّ طَيْرٍ فِي طُوسَ أَلْقَى لَدَيْهِ
رَأْسَ قَابُوسِ ذِي الْعُلَى وَالْبَاسِ
وَهُوَ يَدْعُوهُ أَيُّهَا الرَّأْسُ لَهْفًا
أَيَّنَ صَوْتُ الطُّبُولِ وَالنَّجْرَاسِ

186

أَلَا قُمْ لِنَحْسُوهَا وَنَعْمَلْ عُدْنَا
وَنُبَدِّلْ حُسْنَ الصَّيْتِ بِالْعَارِ وَالرَّجْسِ
وَدَعْنَا نَبْعَ الْكَأْسِ سَجَّادَةَ التُّقَى
وَنَكْسِرُ فَوْقَ الصُّخْرِ قَارُورَةَ الْقُدْسِ

153

187

إِنِ اشْتَهَرْتَ فَشَرُّ النَّاسِ أَنْتَ وَإِنْ
كُنْتَ انْزَوَيْتَ فَقَدْ عَانَيْتَ وَسَوَاسَا
لَوْ كُنْتَ خَضِرًا وَالْيَاسَ سَعِدْتَ بِأَنْ
لَا تُعْرِفَنَّ وَأَنْ تُعْرِفَ النَّاسَا

188

دَغُّ كُلِّ مَفْرُوضٍ وَمَنْ دُوبٍ وَمَنْ
قُوتٍ لَدَيْكَ فَطَاعِمِنَ النَّاسَا
لَا تُؤْذِ خَلْقَ اللَّهِ أَوْ تَعْتَبِ بِهِمْ
وَأَنَا الضَّمِينُ غَدًا فَهَاتِ الْكَاسَا

189

يَا حَمْرُ مَا أَخْلَاكَ وَسَطَ رُجَاجَةٍ
تَاللَّهِ أَنْتِ عَقَالُ عَقْلِ الْحَاسِي
لَا تُمَهِّلِينَ مَنْ احْتَسَاكِ هَنِيهَةً
حَتَّى تُبَيِّنِي كُنْهَهُ لِلنَّاسِ

190

إِذَا ارْتَدَّ الدُّنْيَا لَدَيْكَ فَلَا تَتَّقِ
بِمَا لَمْ يَثِقْ فِيهِ لَيْبٌ وَكَيْسٌ
فَمَثُوكَ كَمَا آتَى إِلَيْهَا وَذَاهِبِ
فَقُمْ وَأَخْتَلِسْ حَظًّا بِهَا فَسْتَخْلِسُ

191

مَرَّتْ لِيَالٍ نَحْنُ لَمْ نَعْمِضْ بِهَا
طَرْفًا وَلَمْ نَتْرِكْ دِهَاقَ الْكَاسِ
فُم نَحْسُهَا قَبْلَ الصَّبَاحِ فَكَمْ لَهُ
نَفْسٌ وَنَحْنُ نَقَى بِلا أَنْفَاسِ

192

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ اسْمٍ مِنَ اللَّذَاتِ أَوْ
غَيْرِ السُّلَاقَةِ مِنْ جَلِيسِ كَيْسِ
لَا تُلْقِ مِنْ يَدِكَ الْمُدَامَ فَمَا بَقِيَ
فِي الْكَفِّ هَذَا الْيَوْمَ غَيْرُ الْكُؤُسِ

حرف الشين

193

هَاتِ الْمُدَامَ فَمَا الدُّنْيَا سِوَى نَفْسٍ
يَكْفِيكَ عَيْشُكَ أَنَا مِنْهُ مُنْتَمِشًا
إِهْنَأُ بِكُلِّ الَّذِي يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ
فَلَيْسَ يَجْرِي كَمَا يَهْوَى امْرُؤٌ وَيَشَأُ

156

حرف الصاد

194

لَو تَسْقِي الطُّوْدَ لَاعْتَرَاهُ الرِّقْصُ
مَنْ يَنْتَقِمِ الرِّاحَ فَفِيهِ النُّقْصُ
حَتَّى مَ تَقُولُ لِي عَنِ الرِّاحِ فَتَب
هَذَا رُوحٌ بِهَا يُرَى الشُّخْصُ

157

حرف الضاد

195

أُنظِرِ الْعُمَرَ كَيْفَ يَمْضِي حَزِيناً
فَابْتَدِرُهُ فَسَوْفَ يُودِي وَيَقْضِي
مَا رَأَيْتُ الْهِنَاءَ عُمْرِي فَلَهُمِّي
لِحَيَاةٍ كَذَا تَمُرُّ وَتَمْضِي

196

إِذَا مَا أَتَيْنَا خَاشِعِينَ لِمَسْجِدِ
فَلَمْ نَأْتِ نَقْضِي لِلصَّلَاةِ فُرُوضَهَا
وَلَكِنْ سَرَقْنَا مِنْهُ سَجَادَةً وَمُنْذُ
عَرَاهَا الْهَلِي جُنًّا لِكَيْ نَسْتَعِيضَ بِهَا

حرف العين

197

مَا أَهْرَقَ السَّاقِي سُلَافاً فِي النَّوْرِ
إِلَّا وَأَطْفَأَ نَارَ قَلْبِي مَوْلَعِ
أَنْظُنُّ رَاحاً ذَلِكَ الْمَاءَ الَّذِي
يُودِي بِمِئَةِ عِلَّةٍ فِي الْأَضْلَعِ

198

إِلَهِي وَمُجْرِي كُلِّ حَيٍّ وَمَيِّتٍ
وَرَبِّ السَّمَا ذَاتِ النَّجْمِ السَّوَاطِعِ
لَئِنْ كُنْتُ ذَا سُوءٍ فَإِنَّكَ سَيِّدِي
وَمَا هُوَ ذَنْبِي إِنْ تَكُنْ أَنْتَ صَانِعِي

199

الدَّهْرُ مِنْ عُمْرِي لَحْظَةٌ وَمَا
جِيحُونَ إِلَّا قَطْرَةٌ مِنْ أَدْمَعِي
النَّارُ مِنْ أَحْزَانِنَا شَرَارَةٌ
وَالْخُلْدُ لَحْظَةٌ الْهَيَاءِ الْمُسْرِعِ

200

كُنْتُ بَارِئًا فَطَرْتُ مِنْ عَالَمِ السَّ
رِّ لِأَغْدُو عَنِ الْحَضِيضِ رَفِيعًا
حَيْثُ إِنِّي لَمْ أَلْقَ لِلسَّرِّ أَهْلًا
عُدْتُ مِنْ حَيْثُ قَدْ أَتَيْتُ سَرِيعًا

201

إِنْ يَهْوِ كَالْكُرَةِ الْوُجُودُ بِهِوَّةً
لَمْ يُغَيِّنِي وَأَنَا بِسُكْرِي هَاجِعُ
بِالْأَمْسِ فِي حَانَ الْمُدَامِ رُهْنَتْ وَأَلْ
حَمَارُ كَانَ يَقُولُ "رَهْنٌ نَافِعٌ"

160

202

ذُو اللَّبِّ لَا يُصْبِحُ فِي هَمٍّ عَدِيمِ الْمُنْفَعَةِ
وَيَشْرَبُ الرَّاحَ تَبَاعًا فِي كُؤُوسٍ مُتْرَعَةٍ
الْهَمُّ فِي الْقَلْبِ وَفِي الْكُوزِ الْمُدَامُ مَوْدَعَةٌ
بُؤْسًا لِمَنْ عَافَ الطَّلَاً وَاحْتَمَلَ الْهَمَّ مَعَهُ

203

إِذَا كَانَ يَجْرِي الدَّهْرُ عَكْسَ مَرَامِنَا
فَهَلْ جَدُّنَا يُجْدِي أَوْ الْفُكْرُ يُنْفَعُ
جَلَسْنَا زَمَانًا حَائِرِينَ لِأَنَّ
إِلَى الْعَيْشِ أَبْطَأْنَا وَلِلْمَوْتِ نُسْرِعُ

حرف الفاء

204

نَحْنُ نَبِيْعُ النَّخْلِ وَالنُّجُومِ
بِأَجْزَائِهَا بِصَوْتِ الْمَعْرِفِ
وَبَشْتَرِي بِسُبْحَةِ الْوَسْرِ
بِأَسْفَلِ كَأْسِ فَرْقِ الْمَنْفِ

205

مَرَرْتُ أَمْسِي بِخَزَافٍ يُدَقِّقُ فِي
صُنْعِ الثَّرَى دَائِباً مِنْ دُونَ إِنْصَافِ
شَاهِدْتُ إِنْ لَمْ يُشَاهِدْ غَيْرُ ذِي بَصَرِ
ثَرَى جُدُودِي بِكَفِّي كُلِّ خَزَافِ

206

حُسْنُ الْأُمُورِ وَقُبْحُهَا مِنْ نَحْوِنَا
وَمِنْ الْقَضَا فَرَحَّ وَحَزَنُ مُدْنِفُ
لَا تَعَزُّ لِلْأَفْئَالِكِ تَلْكَ فَإِنَّهَا
أَوْهَى بِشَرْعِ الْحُبِّ مِنْكَ وَأَضْعَفُ

207

مَنْ نَالَ فِي الْيَوْمَيْنِ جُرْعَةَ مَاءٍ
مِنْ جَرَّةٍ مَكَسُورَةٍ وَرَغِيفًا
لَمْ يَغْتَدِ عِبْدًا لِمَنْ هُوَ مِثْلُهُ
أَوْ سَائِمًا مَنْ دَوَّنَهُ تَكْلِينًا؟

208

فَمَنْ نَصَّبَ بِهَا حَمْرَةً وَرَدِيَّةً
فِي رِيَّةِ الْعُودِ وَصَوْتِ الْمَغْرَفِ
أَصْحُ فَأَيَّامِ الثَّرَاوِيحِ انْقَضَتْ
وَالْيَوْمَ عِيدٌ فَأَنْ سِيرَ لِلْقَرْقِضِ

209

يَا دَهْرُ هَلْ بِالَّذِي تَأْتِيهِ تَعْتَرِفُ
أَلَمْ تَزَلْ بِزَوَايَا الظُّلْمِ تَعْتَكِفُ
تُعْطِي اللُّثِيمَ نَعِيمًا وَالْكَرِيمَ عَنَاءً
لَا شَكَّ إِذَا حَمَارًا أَنْتَ أَوْ خَرِفُ

210

غَدَاً إِذَا مَا كَانَ يَوْمُ الْجَزَا
قَدْ ذُكَّ يَغْدُو حَسَبَ الْمَعْرِفَةِ
فَقَلَّ صِصْفَاتٍ حَسَنَتْ إِذَا مَا
تُحْشِرُ إِنْ مُتَّ بِشَكْلِ الصَّفَةِ

211

الْبَحْثُ فِي الدَّهْرِ لَمْ يُتَمَزَلْنَا تَمَرًا
فَمَا نَحَاهُ أَمْرٌ بِالْحِكْمَةِ أَصْفَا
كُلُّ أَمْرٍ هَزَّ غُصْنًا مِنْهُ مُضْطَرِبًا
الْيَوْمُ كَالْأَمْسِ وَالْآتِي كَمَا سَلَفَا

يَدِّي فِي جَامٍ وَأُخْرَى بِمُصْحَفٍ
وَطَوْرًا أَنَا الْجَانِي وَطَوْرًا أَنَا الْعَفُ
أَعِيشُ وَمِثَالِي تَحْتَ ذَا الْأَفْقِ مَبْدَأُ
فَلَا مُسْلِمٌ مَخْضٌ وَلَا كَافِرٌ صِرْفُ

حرف القاف

213

تَوَضُّأُ إِذَا مَا كُنْتَ فِي الْحَانِ بِالطَّلَا
فَمَنْ يَمْضِحْ شَانَا فَلَا يَرْجُ أَنْ يَرْقَى
أَدْرُ لِي الْحُمِيَّا إِنَّ سَثَرَ عَفَاقِنَا
قَدِ انْشَقَّ حَتَّى لَا نُطِيقَ لَهُ رَثَقَا

214

إِنَّ مَنْ لَزُمُوا الْمَحَارِبَ لَيْلًا
وَالْأَلَى عَاقَرُوا كُؤُوسَ الرَّحِيقِ
غَرِقَ الْكُلُّ مَا بِهِمْ قَطُّ، نَاجٍ
وَعَفَّوْا كُلَّهُمْ فَمَا مِنْ مُضِيقِ

215

هَاتِهَهَا كَالشَّقِيقِ أَوْ كَالْمَعْقِيقِ
وَأَسْرَلُ بِالْأَدْمَا فَمَ الْإِبْرِيْقِ
مَالِي الْيَوْمَ غَيْرُ كَأْسِ الْحُمَيْيَا
مِنْ صَدِيقِ صَافِي الضَّمِيرِ رَفِيقِ

216

لَا يَرُوقُ الْوُجُودُ مِنْ دُونِ سَاقِي
وَمُتَدَامٍ وَصَوْتِ نَيْيِ عِرَاقِي
لَا أَرَى الْعَيْشَ مَا تَمَكَّرْتُ فِيهِ
غَيْرَ نَيْلِ السُّرُورِ بَيْنَ الرَّفَاقِ

217

مَتَى انْبَلَجَ الصُّبْحُ الْمَشْعَشَعُ فَلْيَكُنْ
بِكَفِّكَ لِلصَّهْبَاءِ جَمَامٌ مُرُوقُ
يَقُولُونَ إِنَّ الرِّيحَ مُرَّ مَذَاقِهَا
فَقُلْتُ إِذْ فَالرِّيحُ حَاقٌ مُحَقَّقُ

218

الدَّهْرُ مَا صَافَى أَمْرًا كَلًّا وَكَمَّ
مَنْ عَاشِقٍ أَرْدَى وَمَنْ مَغْشُوقٍ
مَنْ مَاتَ لَا يَحْيِي لَعْمُكَ مَرَّةً
أُخْرَى فَبَادِرْ وَأَخْسُ جَامَ رَحِيْقِ

219

فَكَّرْتُ فِي الدِّينِ أَقْوَامَ كَمَا
حَارَ بَيْنَ الشُّكِّ وَالْقَطْعِ فَرِيْقِ
فَإِذَا الْهَاتِفُ يَدْعُوهُمْ أَيَا
بُلْبُلُهُ لَا هَذَا وَلَا ذَاكَ الطَّرِيْقِ

220

زَيْنَتِ وَجْنَةَ ذِيكَ الْمَلِيحِ لَنَا
يَا رَبِّ فِي سُنْبُلِ كَالسُّكِّ ذِي عَبَقِ
وَرُخْبَتِ تَأْمُرُ أَنْ لَا نَنْظُرَنَّ لَهُ
كَمَا تَقُولُ "أَمِلْ كَأْسًا وَلَا تُرِقِ"

221

يَحْلُو لَدَى النَّيْرُوزِ فِي الرَّهْرِ النَّدى
وَيَرُوقُ فِي الرُّوضِ الْمُحَيَّا السَّائِقُ
الْأَمْسُ مَرَّ فَمَا يَرُوقُ حَدِيثُهُ
فَاهْتَأْ وَدَعْ أَمْساً فَيَوْمُكَ رَائِقُ

222

مَا عِشْتَ أَسْرَ الدَّهْرِ فَاجْهَدْ وَارْتَشِفْ
كَاسَ الطَّلَا مَا دُمْتَ تَحْمِلُ طَوْقَهُ
إِنْ كَانَ أَوْلُنَا وَآخِرُنَا الْبُرى
فَاخْسَبْ كَأَنَّكَ فِي الْبُرى لَا هَوْقَهُ

223

لَا أَنَا عَالِمٌ وَلَا أَنْتَ سِرُّ الـ
دَّهْرِ أَوْ حَلُّ مُشْكِلٍ مِنْهُ دَقُّا
نَتَطَنَّسِي خَلْفَ السِّتَارِ فَإِنْ زَا
لَ فَلَا أَنْتَ أَوْ أَنَا ثُمَّ نَبْقِي

224

بَكَرَ الرَّيِّيعَ وَمَرَّ الشِّتَاءَ
حَيَاثُكَ تَبْلَى وَأُورَاقُهَا
فَلَا تَأْسُ وَأَشْرَبَ فَإِنَّ الِهُمُومَ
هِيَ السُّمُّ وَالرَّاحُ تَزِيأُهَا

225

أَنَّ الصَّبُوحَ هَأُومَ فَافْتَحْ حَائِنَا
هَذَا ذُكَاءَ تَهْمُ بِالِإِشْرَاقِ
إِنْ كَانَ يُسْرِعُ لِلفَنَاءِ زَمَانِنَا
فَهَأُومَ فِي كَأْسِ إِلَيَّ دِهَاقِ

226

إِنَّ هَذَا الكَاسَ الطَّرِيفَةَ مُنْعَاً
كُـسِرَتْ ثُمَّ أُلْقِيَتْ فِي الطَّرِيقِ
لَا تَطَاهَا وَنِكَ أَحْتَقَاراً فَتَدْمَأُ
صَنَعُوهَا مِنْ كَأْسِ رَأْسِ سَحِيقِ

رَاقَ الصَّبَاحُ فَكُنَّ أَرْقُ بِرُجَا جَاءَةٍ
 بَاقِي سُلَافَةٍ لِيَلِينَا يَا سَاقِي
 ثُمَّ اسْتَقْنِي كَأَسَاءٍ وَبَادِرُ لِحَظَّةٍ
 مِنْ عُمُرِنَا سَتَزُولُ فَالْعَدُّ بَاقِي

حرف الكاف

228

يَا قَلْبُ إِنِّي مَنَحْتُكَ ذَا الدَّهْرِ الْأَسَى
وَسَيَجْعَلُكَ بَاغِيًا لِحَيَاتِكَ
فَاغْنِمِ بِهَذَا الرُّوضِ أَوْقَاتَ الْهَنَاءِ
قَبْلَ امْتِزَاجِ نَبَاتِهِ بِرُفَاتِكَ

229

لَا تَدْعُ إِلَهًا مَّا يَغْتَرِبُكَ وَلَا
يَضِيقُ بِكَ الْعَيْشُ وَأَطْرَحَ كَمَدَكَ
وَلَا زِمَ الرُّوضِ وَالْمِيَاهَ وَطَبَّ
مَنْ قَبْلَ أَنْ يَغْصِرَ النَّوْمُ جَسَدَكَ

230

أَلْقَيْتَ فِي كُلِّ مَنَهْجٍ شَرَكَا
وَقُلْتَ مَنْ يَخْطُ خَطُوءَ هَلْكََا
بِالذُّبِ أَغْرَيْتَنِي وَتَسْبُ لِي
ذُبَاباً وَكُلُّ الْأَحْكَامِ فِي يَدِكََا

231

قُمْ وَدَعْ هَمَّ عَالَمٍ سَوفَ يَفْنَى
وَاعْتَنِمْ لِحْظَةَ السُّرُورِ لَدَيْكََا
إِنْ يَكُنْ فِي الزَّمَانِ أَدْنَى وَفَاءٍ
لَمْ تَصِلْ نَوْبَهُ الْهِنَاءِ إِلَيْكََا

232

كَيْفَ يَحْوِمُ الْقَلْبُ يَوْمًا عَلَى
غَيْرِكَ أَوْ يَبْغِي هَوَى مَعِ هَوَاكَ
إِنَّ دُمُوعِي لَمْ تَدَعْ لِحْظَةَ
عَيْنِي تَرْنُو لِحْيَيْهِ سِرْوَاكَ

233

قُلْتُ سَأَتْرُكُ الشَّرَابَ تَائِباً
فَهُوَ دَمُ الْكَزْمِ وَأَسْنَتُ أَسْنُفِكُهُ
قَالَ لِي الْعَقْلُ أَجْداً قُلْتُ ذَا؟
قُلْتُ لَقَدْ مَا زَحِيتُ كَيْفَ أَتْرُكُهُ؟

234

يَا مَنْ يُفَكِّرُ لِيَأْتِيَهُ وَنَهَارُهُ
بِالْعَيْشِ هَلْأَخْفَتَ يَوْمَ رِدَاكَ
إِرْجِعْ لِنَفْسِكَ وَأَصْنَحْ وَأَنْظُرْ لِحِظَّةِ
فِعْلِ الزَّمَانِ وَمُنْعُهُ بِسِوَاكَ

235

أَنَا عَبْدُكَ الْعَاصِي فَأَيْنَ رِضَاكَ
وَلَقَدْ دَجَى قَلْبِي فَأَيْنَ سَنَاكَ
إِنْ كُنْتَ تَمُنُّنَا الْجِنَانِ بِطَاعَةٍ
يَا ذَا لَنَا بَيْعاً فَأَيْنَ عَطَاكَ

حرف اللام

236

أَصْبَحْتُ بِالسُّكْرِ وَالصُّهْبَاءِ مُفْتَبِّحاً
فَقِيمٌ يُكْثِرُ لِي هَذَا الْوَرَى الْعَدْلَا
يَا لَيْتَ كُلَّ حَرَامٍ كُسُكْرٍ لَأَرَى
فِي الْكَوْنِ كُلِّ فِتْنَى مِنْ ذَنْبِهِ تَمَلَا

237

عِشْ وَأَبْنَةَ الْكَرْمِ فِي هَنَاءِ
وَأَشْرَبْ وَدَعْ بَاطِلَ الْخِيَالِ
فَالْبُنْتُ مَهْمَا تَكُنْ حَرَاماً
أَطْيَبُ مِنْ أُمَّهَا الْحَالِ

238

أَرَى كُلَّ خِلَانِ الْوَفَاءِ تَفَرَّقُوا
فَبَيْنَ صَرِيحِ اللَّوَدَى وَقَتِيلِ
شَرِينَا شَرَاباً وَاحِداً غَيْرَ أَنَّهُمْ
بِهِ تَمَلَّأُوا مِنْ قَبْلِنَا بِقَلِيلِ

239

أَيَا قَلْبُ مَا تَذْرِي بِسِرِّ أَوْلِي النَّهَى
وَلَسْتُ لِيذَا الرَّمْزِ الدَّقِيقِ تَرَى حَلَاً
مِنَ الرَّاحِ فَاصْنَعْ هَاهُنَا لَكَ جَنَّةً
فَتَمَّ جَنَّانٌ هَلْ تُفَوِّزُ بِهَا أَوْلَا

240

كَسَرْتُ كُوزاً لِلطَّلَا عَنِ جَهْلِ
إِذْ كُنْتُ نَشْوَاناً سَلِيبِ الْعَقْلِ
فَرَاخٌ يَدْعُو بِلسَانِ الْحَالِ
مِثْلَكَ قَدْ كُنْتُ وَتُعَدُّ مِثْلِي

241

لَيْسَ يَدْرِي سِرَّ الْوُجُودِ ابْنُ أُتَيْسٍ
وَيَتَكْوِينُهُ تَحَارُ الْعُقُولُ
مَا أَرَى لِلْفَتَى سِوَى الرَّمْسِ مَثْوَى
وَهُوَ لَهُمْ فِي حِكَايَةِ سَاءَ تَطْوِيلُ

242

إِنْ مُتُّ فَاصْكُتُوا رُفَاتِي وَاجْعَلُوا
آخِرَ أَمْرِي عِظْمَةً بَيْنَ الْمَلَا
وَبِالطَّلَا أَمْزِجُوا تُرَايَ وَأَصْنَعُوا
مِنْ طِينِهِ غِطَاءَ رَاقِدِ الطَّلَا

243

ذَا يَوْمُكَ رَاقٍ وَالْهَوَاءُ اعْتَدَلَا
وَالرُّوضُ بِوَاصِفِ الْعَيْوِثِ اعْتَسَلَا
وَالْبُلْبُلُ بِالْبَهَارِ نَادَى جَدَلَا
قَدْ أَقْلَحَ مَنْ لَأَكُنُّسِ الرِّاحِ جَلَا

244

يَا صَنَمِي قُمْ وَأْتِي مَعْجَلًا
وَحُلِّ فِي حُسْنِكَ لِي مَا أَشْكَلَا
وَهَاتِنِي كَوْرَ الْمُدَامِ قَبْلَ أَنْ
يُصْنَعَ مِنْ رِفَاتِنَا كُوْرُ الطَّلَا

245

خَيَْامُ طِيبٍ إِنْ نَلْتِ نَشْوَةَ قَرْقَمِ
وَحَبَّأَكَ وَرَدِي الْخُدُودِ وَصَالَا
إِنْ كَانَ عَاقِبَةُ الْوُجُودِ هِيَ الْمَنَا
فَافْرُضْ فَنَّاكَ وَعِشْ سَعِيدًا بِالَا

246

إِذَا نَلْتِ رِطْلِي قَرْقَمِ فَاخْسُ جَامَهَا
بِكُلِّ اجْتِمَاعٍ رَاقٍ أَوْ مَحْفَلٍ حَالِي
فَمَا يَعْنَتْنِي بَارِي الْوُجُودِ بِشَارِبِ
لِمِثْلِكَ أَوْ يَهْتُمُّ فِي دَقْنِ امْتِثَالِي

247

دَعِ الْمَاضِي وَمَا سَيَجِيءُ وَانْعَمِ
وَطِيبْ نَفْساً بِكَاسَاتِ الشَّمُولِ
وَأَنْفُسَنَا مُعَارَاتٍ فَطَاطَلِقِ
سَرَاحَ النَّفْسِ مِنْ قَيْدِ الْعُقُولِ

248

أَخَذْتُ بِدَفْتَرِ الْأَيَّامِ فَالْأُ
فَجَاءَ زِدَاءُ ذِي دَوَقٍ وَعَقْلِ
سَعِيدٍ مَنْ لَهْ أَلْفٌ كَبِيرِ
يُنِيرُ وَلِيْلَةً فِي طُولِ حَوَلِ

249

كُلُّ مَا قَدِ رَأَيْتَ فِي الدَّهْرِ وَهَمِّ
وَالَّذِي قُلْتِ أَوْ سَمِعْتِ خَيْالُ
بِاطِلًا قَدِ غَدَوْتَ فِي الْأَرْضِ تَعْدُو
وَكَذَا الْإِنْسُ زَوَاءُ فِي الدَّارِ آلُ

250

أَعْبُ الطَّلَا عَمْدًا وَمِثْلِي دُو حَجِّي
لَهُ يَغْتَدِي عِنْدَ النَّهْيِ شُرَيْهَا سَهْلًا
ذَرَى اللَّهُ قَدَمًا بَارِزًا شَافِيًا لِلطَّلَا
فَإِنْ أَجْتَبَهَا يَنْقَلِبْ عِلْمُهُ جَهْلًا

251

يَا نَدِيمِي أَدْرُ عَقِيْقَ الْحَمِيِّ يَا
وَأَرْحَنِي مِنْ هَمِّ قَيْلٍ وَقَالٍ
وَأَسْنَعِ فِي كُوزِهَا فَسَوْفَ تُسْوِي
مِنْ ثَرَانَا كُوزًا أَكُفُّ اللَّيَالِي

252

يَا قَلْبُ هَبْ أُنْكَ نَلْتِ الْأَمَلَا
وَرَوْضُ أَفْرَاحِكَ بِالنَّبَاتِ حَالَا
فَلَسْتِ فِي رَوْضِ الْهِنَا سِوَى نَدَى
هَوَى لَدَى اللَّيْلِ وَفِي الصُّبْحِ عَالَا

253

كَمْ ضَرَبْنَا فِي كُلِّ قُطْرٍ وَفَجَّ
وَادِيًّا كَأَنَّ أَوْ فَلَاحَةً وَسَهْلًا
لَمْ نَجِدْ مَنْ يَقُولُ مَنْ عَادَ مِنْ ذَا
كَ الطَّرِيقِ الَّذِي مَضَى فِيهِ قَبْلًا

254

انْظُرْ لِسُوءِ فِعَالِ أَفْلَاكِ السَّمَاءِ
وَانْظُرْ لِدَهْرِكَ مِنْ رِفَاقِكَ خَالِي
مَا اسْطَطَعَتْ فَاهُنَّ الْيَوْمَ لَا تَنْظُرُ غَدًا
أَوْ مَا تَقَضَى وَانْظُرْ لِلْحَالِ

255

أَجِيلُ بِهِذَا الْكَوْنِ طَرِيقِي مُدَقَّقًا
وَأَمْعُونُ فِيهِ فِكْرَةٌ وَتَأْمَلًا
فَسُبْحَانَ رَبِّي كُلُّ شَيْءٍ نَظَرْتُهُ
رَأَيْتُ بِهِ يَأْسِي لِعَيْنِي مُمْتَلًا

256

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِكُلِّ كُفْرٍ عَارِفٍ
أَهْوَى عَلَيَّ قَدَمَيْهِ غَيْرَ مُبَالٍ
أَثْرِيْدُ مَعْرِفَةَ الْجَحِيمِ بِكُنْهَها
إِنَّ الْجَحِيمَ لَمْ تُصْحَبْهُ الْجَهَّالُ

257

بَادِرْ زَمَانِكَ وَأَحْسُ الرِّاحَ صَافِيَةً
فَالْعُمُرُ يَوْمَانِ لَنْ تَلْقَاهُ إِنْ كَمَلَا
تَكْذِرِي بِدُنْيَاكَ نَحْوَ الْعُدْمِ سَائِرَةً
فَكُنْ نَهَاراً وَلَيْلاً بِالطَّلَا نَمَلَا

258

فَمِ هَاتِهِمَا وَزِدِّيَّةً مِسْكِيَّةً
وَدَاوٍ مِمَّنْ هَذَا الْفُؤَادِ الْعَالَا
وَأَنْ تَكْرُمُ مُمْرَحاً يَجْلُو الْأَسَى
فَأَحْضِرِ الْعُودَ وَيَأْقُوتِ الطُّالَا

259

أَيَا مَنْ أَتَى بِي لِلْوَجُودِ بِقُدْرَةٍ
وَرُدِّيَّتُ فِي نِعْمَائِهِ أَتَدَلُّ
سَأْمُتَعِنُ الْعِصْيَانَ مِثْلَةَ حَجَّةِ
لَأَعْلَمَ ذَنْبِي أَمْ سَأْمَا حُكَّ أَجْزَلُ

260

إِشْرَبْ فَكَمْ سَأْتَنَامُ فِي قَعْرِ الثُّرَى
يَا صَاحِ دُونَ حَلِيَاءَةٍ وَخَلِيلِ
لَا تُفَشِ ذَا السَّرِّ الْخَفِيِّ لَدَى امْرِئٍ
لَنْ تَزْهُوَ الْأَزْهَارُ بَعْدَ دُبُولِ

261

إِنْ لَمْ يَكُنْ رَبِّي قَدْ شَاءَ مَا
شِئْتُ فَهَلْ يُمَكِّنُنِي فِعْلُهُ
فَإِنْ يَكُنْ شَاءَ صَوَاباً فَهَذَا
شِئْتُ سَوَاهُ خَطَأاً كَأَنَّ

262

الْيَوْمَ مَا لَكَ فِي أَمْرِ الْعِدَاةِ يَدٌ
وَلَيْسَ فِكْرُ غَدٍ إِلَّا مِنَ الْخَبَلِ
فَاغْنِمْ بَقِيَّةَ عُمُرٍ إِنْ تَكُنْ يَقْظَاً
فَالْعُمُرُ يَمُنِّي بِلا بُطْنٍ وَلَا مَهَلِ

163

لَمْ تَحْطِ يَا قَلْبِي بِغَيْرِ أَسَى وَمَا
تَنْفَكُ تُرْزَأُ بُكْرَةً وَأَصْرِيلاً
يَا نَفْسُ فِيمَ تَجِدْتِ جِسْمِي مَسْكناً
إِنْ كُنْتِ عَنْهُ سَتِئْتِ مَعِينِ رَحِيلاً

حرف الميم

164

يُـدَقِّقُ ذَلِيكَ الْخَزَّافُ فِكْرًا
بِصُنْعِ الطَّيِّبِ تَدْقِيقَ الْفَهْمِ
إِلَّا مَ يَسُومُهُ دُوسًا وَلَكُمَا
يَخَالُ الطَّيِّبِ غَيْرَ تَرَى الْجُسُومَ؟

265

وَجُودُ ذَا الْكَوْنِ مِنْ بَحْرِ الْخَفَاءِ بَدَا
وَسِرُّهُ لَمْ يَبْنِ يَوْمًا لَدَى الْأَمَمِ
كُلُّ امْرِئٍ قَالِ وَهَمًّا عَنْ حَقِيقَتِهِ
وَالْحَقُّ مَا فَاهَ فِيهِ وَاحِدٌ بَقَمِ

266

أزْهَرَ الرُّؤُضُ يَا نَدِيمِي فَبَادِرُ
فَسَيَعْدُو تُرَى وَيُمَسِّي عَدِيمَا
إِرْتَشِفْ وَأَقْتَطِفْ فَسَوْفَ تَرَى الْوَرْدَ
تُرَاباً وَالنُّبْتَ فِيهِ هَشِيمَا

267

إِنْ تَشْرَبَ الرِّاحَ فَاشْرَبْ مَعَ ذَوِي أُدْبِي
أَوْ ذِي جَمَالٍ صَقِيلِ الْخَدِّ مُبْتَسِمِ
وَدَعْ تَعَاظِيهَا بَيْنَ الْمَلَأِ عَانَا
وَاشْرَبْ خُفَاءً وَلَا تُكْثِرْ وَلَا تُدْرِمِ

268

طَوَى الصُّبْحُ رَايَةَ جَيْشِ الظُّلَامِ
فَقُمْ يَا نَدِيمِي وَهَاتِ الْمُدَامِ
وَفُكِّ لَنَا نُرْجِسَ الْمُقْلَتَيْنِ
وَقُمْ فَاسَوْفَ تُطِيلُ الْمَنَامِ

269

حَتَّى مَ أَنْتَ أَسِيرٌ لِلزَّوْنِ وَالطَّعْمِ وَالشَّمِّ
وَمُقْتَفٍ كُلِّ زَيْنٍ وَكُلِّ شَيْنٍ مُدْمَمٍ
فَإِنْ تَكُنْ مَاءَ عَيْنِ الْحَيَاةِ أَوْ بَسْرَ زَمْرَمٍ
سَتُودِعُ الرَّمِيسَ حَتْمًا لَدَى الْقَضَاءِ الْمَحْتَمِّ

270

يَا نَفْسُ لَا تَرْتَجِي مِنْ دَهْرِكَ الْكَرَمَا
وَلَا مِنْ الْفَالِكِ الدَّوَارِ مُغْتَمَمَا
يَزِيدُ دَاوُلِكَ إِنْ دَاوَيْتَهُ أَلَمَا
فَأَعْرِضِي عَنِ دَوَاهُ وَأَحْمَلِي السَّقَمَا

271

سَتَنْفَنِي وَهَذَا الْكَوْنُ سَوْفَ يَدُومُ
وَتَنْدَهَبُ أَسْمَاءُ لَنَا وَرُسُومُ
كَمَا لَمْ نَكُنْ وَالْكَوْنُ كَانَ مُنْظَمًا
سَتَنْفَنِي وَيَبْقَى بَعْدُ وَهُوَ نَظْمِي

272

بَدَا الصَّبْحُ وَأَشَقَّ جَيْبُ الظَّلَامِ
فَقُتِمَ وَدَعِ الهَمُّ وَأَخْسُ المُدَامِ
فَكَمَ مِنْ صَبَاحٍ سَيَبْدُو لَنَا
وَنَحْنُ نِيَامٌ بِبَطْنِ الرِّغَامِ

273

خُذْ نَصِيباً مِنْ دَوْرِ دَهْرِكَ وَاجْلِسْ
فَوْقَ عَرْشِ السُّرُورِ وَأخْسُ النِّجَامِ
غَمِّي اللهُ عَنْ ذُنُوبِي وَطَاعَا
تِ فَادْرِكْ مِنَ الزَّمَانِ المَرَامَا

274

عَطَاءُ الدَّنِّ يَغْدِلُ أَلْفَ نَفْسٍ
وَتَغْدِلُ مُنْكَ ذِي الدُّنْيَا المُدَامُ
أَرَى مِنْ دِيلِ مَسْنَحِ الرِّاحِ عِنْدِي
لَهُ فَوْقَ الطُّيَالِيسَةِ احْتِرَامُ

275

حَقِيقَةُ الْكَوْنِ لَيْسَتْ عِنْدَ نَاطِرِهَا
سِوَى مَجَازٍ فَفَيِّمِ الْهَمُّ وَالْأَلَمُ
فَجَارِ دَهْرَكَ وَأَخْضَعْ لِلْقَضَاءِ فَلَنْ
تُطِيقَ تَبْدِيلَ مَا قَدْ خَطَّهَ الْقَلَمُ

276

تَسَاقَطْنَا كَطِيرٍ فِي شِرْبَائِي
نُعَانِي مِنْ أذى الدَّهْرِ اهْتِضَامًا
وَنَخِيطُ فِي فَضَاءٍ لَيْسَ يَبْدُو
لَهُ حَدٌّ وَلَكِنْ تَبْلُغُ مَرَامًا

277

أَنْتَ أَبْدَعْتَنِي مِنَ الْمَاءِ وَالطُّرِّ
يَنْ كَمَا قَدْ نَسَجْتَ أَلْيَافَ جِسْمِي
كُلُّ شَرٍّ مَنِّي يَكُوحُ وَخَيْرٌ
أَنْتَ قَدَّرْتَهُ فَمَا هُوَ جُرْمِي

278

تُؤَبُّ قُدْسِي خَلْعُهُ فَوَقَّ دَنُّ
وَتَيَمَّمْتُ فِي تَرَى الْحَانَ حَرَمًا
فَعَسَانِي أَلْقَى لَدَى الْحَانَ عُمْرًا
ضَاعَ مِنِّي بَيْنَ الْمَدَارِسِ قَدَمَا

279

تُقَالُ الرِّاحُ تُكَبِّرُ الرِّاحُ
وَهِيَ تُحَلُّ مُشْكِلَاتِ الْعَالَمِ
لَوْ ذَاقَ إِبْلِيسُ الْمُدَامَ مَرَّةً
أَتَى بِأَلْفِي سَجْدَةً لِأَدَمِ

280

تَارِكُ الرِّاحِ لَا تَدُمُّ السُّكَارِي
إِنْ أَوْفَقَ أَتَى وَيُمْنِحُ الْأَثَامُ
بِاجْتِابِ الطَّلَا فَتَحَرَّتْ وَتَأْتِي
بِذُنُوبٍ لَهَا الْمُدَامُ غُلَامُ

281

نور البصيرة نَحْنُ فِي عَيْنِ الْحَجَى
وَكَذَلِكَ نَحْنُ الْقَصْدُ مِنْ ذَا الْعَالَمِ
هَذَا الْوَجُودُ قَدْ اسْتَدَارَ كَحَائِمِ
وَالنُّقْشُ نَحْنُ بِفَصِّ ذَاكَ الْحَائِمِ

282

تَحْوِكُ لِي يَا دَهْرُ جُنَابَ الْأَسَى
كَمَا تَشْتَقُ لِي رِدَا التُّنْعَمِ
تُعِيدُ لِي رِيحَ الصَّبَا نَاراً كَمَا
ثَصِيرُ الْمَاءِ ثَرَاباً فِي فَمِي

283

إِذَا لَمْ نَكُنْ فِي الدَّهْرِ نَبْقَى فَعَيْشُنَا
بِدُونِ الْحُمَيْيَا وَالْحَبِيبِ دَمِيمِ
إِلَى مَا اهْتَمَّامِي فِي قَدِيمِ وَحَادِثِ
وَسِرِّيَّانِ بَعْدِي حَادِثِ وَقَدِيمِ

284

دَعَا الْوَرْدُ إِنِّي يَوْسُفُ الرُّوضِ فَاظْطَرُّوا
كَيَاقُوتَ بِالتَّبْرِ مَمْلُوءَةً فَمَرِي
فَقُلْتُ أَيْنَ لِي مِنْ عِلَامَاتِ يَوْسُفَ
فَقَالَ انظُرْنَ ثَوْبِي الْمُخَضَّبَ بِالدَّمِ

285

حَلَّ فِكْرِي فِي الْكَوْنِ كُلِّ مَعْمَى
مِنْ حَاضِيضِ الثُّرَى لِأَوْجِ النَّجُومِ
قَدْ تَبَيَّنَتْ كُلُّ مَكْرٍ وَسِرِّ
فِيهِ إِلَّا سِرَّ الرُّدَى الْمَحْتُومِ

286

أَنَا لَسْتُ أَفْنَطُ مِنْ خَالِقِي
رَحِيمِ لِعِيبِ دُنُونِي الْجِسَامِ
إِذَا الْيَوْمَ مُمْتُ صَارِعِ الطَّلَا
سَيَعْفُو غَدًا عَنِ رَمِيمِ الْعِظَامِ

287

لِحُكْمِ الْقَضَا وَكُلِّ أُمُورِكَ مَا احْتَوَى
كِيَانُكَ أَعْصَاباً وَجُلُوداً وَأَعْظَمَ مَا
دَعَى الْمَنِّ مِنْ خَلِّ وَإِنْ يَكُ حَائِماً
وَالْحَصْمِ لَا تَخْضَعُ وَإِنْ يَكُ رُسْتِماً

288

إِنَّ الْأَلْسَى أَضْحَجُوا أَسَارَى عَقْلِهِمْ
ذَهَبُوا بِحَسْرَةٍ فَأَقْبَلُوا مُتَّكِدِمْ
إِشْرَبَ وَعُذَّكَ الْأَغْيِيَاءَ فَإِنَّهُمْ
صَارُوا زَبِيباً فِي أَوَانِ الْحَصْمِ

289

رَبِّي افْتَحْ لِي بَابَ رِزْقِي وَأَرْسِلْ
لِي قُوَّتِي مِنْ دُونِ مَنْ الْأَنْفَامِ
وَأَدِّمْ نَشْوَةَ الطُّلَّالِ لِي حَتَّى
تُذْهِبَ عَنِّي مَا عَشْتُ عَنْ أَلَمِي

290

إِنِّي وَإِنْ دُقَّتْ الْفَرَامَ وَقَلَّ لِي
مِنْ مُبْهَمِ الْأَسْرَارِ مَا لَمْ يُفْهَمِ
فَالْيَوْمَ حِينَ فَتَحْتَ عَيْنَ بَصِيرَتِي
أَصْبَحْتُ أَعْلَمُ أَنَّنِي لَمْ أَعْلَمْ

291

بَادِرِ الْيَوْمِ إِذْ تُطِيقُ نِوَالاً
وَأَزِلُّ عَنْ حَشَا الرَّفَاقِ الْهُمُومَ مَا
إِنَّ مَالِكَ الْجَمَالِ لَيْسَ بِيَاقِي
فَسَتَلْقَاهُ بَعْتَةً مَعْدُومًا

292

إِنْ تَكُنْ يَا نَدِيمُ نَاراً بِصَخْرِ
فَسَيَجْرِي إِلَيْكَ جَارِي الْجَمَامِ
غَنٌّ فَالْكُونُ مِنْ تَرَى وَهَوَاءٍ
كُلُّ أَنْفَاسِنَا فَجِيءَ بِالْمُدَامِ

293

إِنَّ ظَنِّيَا بِهِ اسْتَهَامَ فُؤَادِي
عَادَ صَاحِبًا بِشَادِنِ مُسْتَهَامَا
كَيْفَ أَرْجُو مِنْ بَعْدُ بُرْءاً لِدَائِي
وَطَبِيبِي أَضْحَى يُعَانِي السُّقَامَا

294

إِنْ رَأَيْتَ السَّاقِي لَجْدَوَاهُ أَهْلًا
عَمَّ نِي فِي فَوَاضِلِ الْأَنْعَامِ
وَإِذَا لَمْ أَكُنْ بِأَهْلٍ سَقَانِي
فَوُوقَ قَدْرِي بِعَادَةِ الْإِكْرَامِ

295

أَيَا فَأَكَا يُرِّيُّ كَيْفَ كُلُّ نَذْلٍ
وَلَيْسَ يَدُورُ حَسْبَ رِضَا الْكَرِيمِ
كَفَى بِكَ شَيْمَةً أَنْ رُحِمْتَ تَهْوِي
بِنَذِي شَرْفٍ وَتَسْمُو بِاللَّئِيمِ

296

الأفق كأس فوقنا مقلوبة
كم تحتها خدع اللبيب الأخرم
أنظر وداذ الكأس مع كوز الطلا
شفة على شفة وبينهم دم

297

سر الحياة لو أنه يبدو لنا
لبدا لنا سر الممات المبهم
لم تعلمن وأنت حاي سرها
فعدا إذا ما مت ماذا تعلم؟

298

حلفت بالفكر من فوق السما لأرى الـ
—جنان والنار والأنوار والقلما
فصاح داعي الحجى فيك الجنان زهت
والنار شبت وفيك اللوح قد رقما

299

إِنَّ الَّذِينَ تَرَحُّنُوا مِن قَبْلِنَا
تَزَلُّوا بِأَجْدَانِ الْغُرُورِ وَنَامُوا
إِشْرَبَ وَخُذْ هَذِي الْحَقِيقَةَ مِنْ فَمِي
كُلُّ الَّذِي قَالُوا لَنَا أَوْهَامُ

300

لَمْ تَقُلْ لِي مَا قُلْتَ إِلَّا لِحَقِّهِ
زَاعِمًا أَنَّنِي بِإِسْلَامِ
أَنَا أَفَرَزْتُ بِالَّذِي قُلْتَ لَكِنِ
أَنْتَ أَهْلٌ لِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ؟

301

يَا مَنْ غَدَوْتَ لِحَوْكَانِ⁽¹⁾ الْقَضَا كُرَّةً
سِرٌّ كَيْفَ شَاءَ وَلَا تَنْبَسُ بِيْنَتِ فَمِ
فَمَنْ رَمَى بِكَ فِي الْمَيْدَانِ مُضْطَرِبًا
أَذْرَى وَأَعْلَمُ مَا يَجْرِي مِنَ الْقَدَمِ

(1) اسم أداة للعب.

302

إِلَى مَ وَأَنْتَ لِلدُّنْيَا حَزِينٌ
وَطَرْفُكَ دَامِعٌ وَالْقَلْبُ دَامِي
فَعِشْ جَدْلَانَ وَارْتَشِفْ الحُمَيْمًا
وَكُلْ أَقْصَى الهَمَّاءِ قَبْلَ الحِمَامِ

303

إِنَّ القَضَاءَ لِأَمْرٍ لَا يُرَدُّ وَمَا
نُصِيبُ ذِي الهَمِّ إِلَّا السُّقْمُ وَالْأَلَمُ
إِنْ تَقَضَّ عُمْرُكَ مَهْمُومَ الفُؤَادِ فَالْحَنْ
تَزِيدُ شَيْئًا عَلَى مَا خَطَّه القَلَمُ

304

لِي نَقْدًا سَاقٍ وَعُودٌ وَرَوْضٌ
وَلَكَ الوَعْدُ فِي غَدْرِ بِالتَّعِيمِ
دَعِ حَدِيثَ الجَنَانِ وَالنَّارِ مَنْ جَاءَ
مِنَ الخُلْدِ أَوْ مَضَى لِجَعِيمِ؟

حرف النون

305

فَلَّكَ الشُّهُبُ قَالَ لِي أَفْتَعَزُو
لِي حُكْمَ الْقَضَاءِ فِي الْأَكْوَانِ
لَوْ غَدَا لِي فِي السَّيْرِ أَدْنَى اخْتِيَارِ
لَمْ تُجِدْنِي أَدورُ كَالْحَيْرَانِ

306

أَحْسَنُ مِنْ زُهْدِ الْفَتَى عَنِ رِيَا
رَشْفُ الْحُمَيْيَا وَاهْتِفَاءِ الْجَسَانِ
إِنْ كَانَ أَهْلُ الْحُبِّ وَالرَّاحِ فِي
لَطْفِي فَلَنْ تَلْقَى أَمْرًا فِي الْجِنَانِ

307

إِذَا كُنْتِ تَعْلَمُ سِرَّ الدُّنْيِ
فَقِيْمِ وَحَتَّى مَآءِ هَذَا الْعَمَّا
إِذَا السُّدُورُ لَمْ يَجْرِ حَسْبَ الْمَرَامِ
فَعِشْ مَا حَيَّيْتَ حَلِيْفَ الْهَمَا

308

إِنْ لَمْ أُطْفِئِكَ إِلَهِي فِي الْحَيَاةِ وَلَمْ
أُطَهِّرِ النَّفْسَ مَنْ أذْرَانِ عَصِيَانِ
فَلَيْسَتْ النَّفْسُ مَنْ جَدْوَاكَ قَانِطَةً
إِذْ لَمْ أَقْلُ قَطُّ إِنَّ الْوَاحِدَ اثْنَانِ

309

كَمْ فِي الْمَدَارِسِ وَالصَّوَامِعِ أَنْفُسٌ
تَرْجُو الْجَنَانَ وَتَخْتَشِي النَّيرَانَ
لَكِنَّ مَنْ عَرَفَ إِلَهَهُ وَسَرَّهُ
لَمْ يُشْغَلَنَّ بِذِي الْأُمُورِ جَنَانًا

310

أرى أجسادنا تُبْنَى بِلِيبِنِ
غَدَاً يَا صَاحِبَ إِنْ نُكْرِدِ الْمَنُونَا
وَيُصْنَعُ مِن نُّرَانَا بَعْدُو لِبِنِ
بِهِ تُبْنَى قُبُورُ الْأَخْرِينَا

311

صَيَّادُ ذَا الدَّهْرِ أَلْقَى الْحَبَّ فِي شَرِكِ
فَصَادَ صَيِّدًا وَقَدْ سَمَّاهُ إِنْسَانَا
فَكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٌّ مِنْهُ قَدْ نَشَأَا
وَرَاخَ يَغْزُو لِهَذَا الْخَلْقِ عَصِيَانَا

312

لَا تُوَمِّلْ مَا فَوْقَ سِتِّينَ حَوْلًا
لَكَ عُمْرًا وَلَا زِمَ السُّكْرِ وَاهِنَا
وَالزِّمَ الدَّنَّ وَالْكُؤُوسَ مُدَامًا
قَبْلَ أَنْ يَصْتَمِعُوا رُفَاتَكَ دَنَا

313

زَمَنُ الْوَزْدِ ذَا وَضْفَةَ نَهْرٍ
وَرِيَاضٍ وَيَضَعُ حُورٍ حَسَانِ
عَاطِنِي الْكَأْسَ فَالْتَشَاوَى صَبَاحاً
حُرُّوا مِن مَسَاجِدِ وَجَنَانِ

314

عَمِيقُكَ الرِّاحُ وَالْكَاسَاتُ مَعْدِنُهُ
وَالرِّاحُ رُوحٌ مِنَ الْجَامِ اصْطَفَتْ بَدَنًا
وَأَنَّ كَأْسَ رُجَاجٍ بِالطَّلَا ضَحِكَتْ
دَمَعُ دَمِ الْقَلْبِ فِي أَشْأَتِهِ كَمَا

315

قَدْ كَانَ يَدْرِي اللَّهُ كُلُّ فِعَالِنَا
مِنْ يَوْمِ صَوَّرَ طِينَتَنَا وَبِرَانَا
لَمْ نَرْتَكِبْ ذَنْباً بِدُونِ قَضَائِهِ
فَإِذَنْ لِمَ إِذَا نَدَخُلُ التُّيْرَانَ؟

316

إِنْ تَرُمُّ أَنْ تَتَّالَ عُمْرًا صَاحِبًا
وَفُؤَادًا لَا يَحْمِلُ الْأَحْزَانَ
فَارْتَشِفْ صَائِفِي الطَّلَا كُلَّ أَنْ
لِتَتَّالَ السُّرُورَ أَنَا فَأَنَا

317

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِلْمُ الْيَقِينِ بِمُمْكِنِ
لَنَا وَأَنْقَضَاءِ الْعُمْرِ بِالشُّكِّ خُسْرَانُ
فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تُشْرِكَ الرَّاحَ لِحِظَّةٍ
وَسَيِّئَانِ حِينَ الْجَهْلِ صَاحِ وَنَشْوَانُ

318

غَسَّلُونِي بِالرَّاحِ بَعْدَ الْمُنُونِ
وَأَذْكُرْهُمَا وَالْكَأْسَ فِي تَأْتِيَنِي
وَلَكَيْدِي الْحَشِيرِ إِنْ أَرَدْتُمْ لِقَائِي
مَنْ تَرَى بِبَابِ حَائِقَةٍ فَاطْلُبُونِي

319

نَفْسٌ بَيْنَ كُفْرِنَا وَالسَّادِقِينَ
نَفْسٌ بَيْنَ شَكْنَا وَالْيَقِينِ
مَا أَرَى حَاصِلَ الْحَيَاةِ سِوَاهُ
فَأَقْضِهِ بِالسُّرُورِ قَبْلَ الْمَنُونِ

320

الْبُؤْبُلُ قَدْ شَدَا عَلَى الْأَعْمَانِ
فَاشْتَرَبْ صَهْبَاءَهَا مَعَ التُّدْمَانِ
وَالْوَرْدُ زَهَاهَا فَكُنْمْ وَبَادِرْ عَجَلًا
يَوْمَيْنِ مِنَ الْهَنْءِ فِي الْبُسْتَانِ

321

إِذَا كَانَ عَدْلًا قِسْمَةُ الرِّزْقِ فِي الْوَرَى
فَلَنْ يَجِدُوا فِيهِ مَزِيدًا وَنَقْصَانًا
فَلَا تَكُ فِي فِكْرٍ لِمَا لَمْ يَكُنْ وَعِشْ
لَعْمُرِكَ حُرَّ النَّفْسِ مِنْ كُلِّ مَا كَانَا

322

كَسَرْتَ يَا رَبِّ إِبْرِيْقَ الْمُدَامِ كَمَا
سَدَدْتَ لِي بَابَ عَيْشِي حَيْثُمَا كَانَا
أَنَا شَكْرِيْتُ وَتُبْدِي أَنْتَ عَرِيْدَةٌ
لَيْتَ الْكُرَى بِفَمِي هَلْ كُنْتَ نَشْوَانَا؟

323

لَوْ كُنْتَ رَبِّ اخْتِيَارٍ مَا أَتَيْتُ إِلَى الـ
سُدُنِيَا وَلَمْ أَرْتَحِلْ عَنْهَا وَلَمْ أَبْنِ
مَا كَانَ أَسْعَدَنِي لَوْ لَمْ أَجِيءُ أَبَدًا
لِلدَّهْرِ يَوْمًا وَلَمْ أَرْحَلْ وَلَمْ أَكُنْ

324

الدَّهْرُ يَا حَيَّامُ يَنْرَأُ مِنْ فَتَى
يُمَسِّي مِنَ الْأَيَّامِ فِي أَشْجَانِ
إِشْرَبْ عَلَيَّ نَعْمَ زُجَاجَةَ قَرْقَمِ
قَبْلَ أَنْ كَسَارَ زُجَاجَةَ الْأَبْدَانِ

325

حَتَّى مَ فِي هَمِّ لِمَا يَأْتِي وَهَلْ
يَجْنِي جَمِيعُ الْحَازِمِينَ سِوَى الْعَنَا
الْهَمِّ لَيْسَ بِزَائِدٍ أَوْ مُنْقَصٍ
فِي الرِّزْقِ فَالتَّزِيمُ الْمَسْرَّةُ وَالْهَنَا

326

عَشْهُ هَيْئَةً فَالِدَهْرُ لَيْسَ بِفَانٍ
وَسَا تَبْقَى النُّجُومُ ذَاتَ اقْتِرَانٍ
وَسَا يَعْدُو نَرَاكَ لِبِنَا هَيْبَتِي
فِي قُصُورِ اللَّئِيسِ أَوْ إِيْوَانٍ

327

لَسْتُ أُدْرِي هَلْ الْإِلَهُ بَرَانِي
لِجَنَانِ الْأَخْرَى أَوْ السُّتِيرَانِ
لِي نَقْدًا سِقَاقَ وَرُوضِ وَرَاحٍ
وَلَكِ الْوَعْدُ فِي غَدْرِ بِالْجَنَانِ

328

هَدُّ رُكْنِ الْإِيمَانِ ذُنُوبِي وَأُنْسِي
ذُنُوبَ مَنْ رَاحَ يَعْبُدُ الْأوثَانَا
أَنَا أَخْشَى ذُنُوبِي مَتَى وَزَنُوهُ
يَوْمَ حَاشِرٍ أَنْ يَكْسِرَ الْمِيزَانَا

329

إِذَا مَا جَاءَنَا رَمَضَانُ يُقَمِّي
بِهِ الْقَيْدُ الْقَيْلُ عَلَيَّ حِجَانَا
فَأَغْفِرْ لِي يَا إِلَهِي النَّاسَ حَتَّى
يَخَالُوا أَنَّ شَوْالَا أَتَانَا

330

حَلَّ السَّمَا نُورٌ وَنُورٌ غَدَا
يَحْتَمِلُ الْأَرْضَ بِقَرْنَيْنِ
أَنْظُرُ بِعَيْنِ الْعَقْلِ كَيْمَا تَرَى
قَطِيعَ حُمْرٍ بِبَيْنِ نُورَيْنِ

331

سَاطُوِينُ صَاحِ أَغْلَامِ التَّفَاقِ غَدَاً
وَأَقْصِدَنَّ بِشَيْبِي الرِّاحِ وَالْحَانَا
بَلَّغْتُ سَبْعِينَ حَوْلًا كَامِلًا فَمَتَّى
أَلْقَى الْهَيَاءَ إِذَا لَمْ أَلْقَهُ الْآثَا؟

332

ضَمَّ جِسْمَ الرُّجَاجِ رُوحًا فَحَاكَى
يَاسَمِينًا يُحْسِيطُ فِي أَرْجُوانِ
لَا لَعْمَرِي فَالْجَامُ جَامِدُ مَاءِ
ضَمَّ فِي الْقَلْبِ سَائِلَ التُّيْرَانِ

333

قَدْ أَصْبَحَ الْحَانُ بِنَا عَامِرًا
وَكَمْ نَقَضْنَا مِنْ مَتَابِلِنَا
مَا يَصْنَعُ الْعَفْوُ بِالْمَاءِ
الْعَفْوُ وَيَزْدَانُ بِأَتَامِنَا

334

إِنَّ مَنْ أذْرَكَهُ الْمَتَاصِبَ ذَاقُوا
جُوعَ الْهَمِّ وَالْأَسَى الْوَأَنَا
وَعَجِيبٌ أَنَّ الَّذِي لَيْسَ يَهْوَى
حِرْمَانَهُمْ لَا يَرُونَهُ إِنْ سَانَا

335

حَتَّى مَ صَوْمُكَ وَالصَّلَاةُ تَسْكَا
فَدَعِ الْمَسَاجِدَ وَأَقْصِدَنَّ الْحَانَا
وَأَشْرَبْ فَسَوْفَ تَرَى رَهَاتِكَ تَارَةً
كُوزًا وَأُخْرَى أَكْؤُسًا وَدِنَانَا

336

أَتَمَّتْ دِيْوَانَ شِعْرٍ وَزَيْصِنْفًا
مِنْ رَغِيْفٍ وَكُوزٍ صَهْبَاءِ حَانَ
وَجُلُوسًا مَعَ الْعَبِيْبِ بِقَفْرِ
ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ مُلْكِ ذِي سُلْطَانِ

337

حِينَ جُودُ الْإِلَهَةِ فَاضَ بِرَانِي
وَبَدَرَسِ الْغَرَامِ قَدَمًا حَبَانِي
وَلَقَدْ صَاعٌ مِّنْ قُرَاضَةِ قَلْبِي
بَعْدَ هَذَا مِفْتَاحَ كَنْزِ الْمَعَانِي

338

حَتَّى مَ أَبْنِي عَلَى سَطْحِ الْمِيَاهِ لَقَدْ
سَأَمْتُ دِيْرًا وَعَبَّادًا لِأَوْثَانِ
مَنْ قَالَ إِنِّي مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ وَمَنْ
أَتَى مِنَ الْخُلْدِ أَوْ وَكَلَى لِنِيرَانِ؟

339

حَتَّى مَ تُصْبِحُ لِلْأَطْمَاعِ حِلْفَ عَنَا
حَيْرَانَ تَعْدُو بِهِذَا الْكَوْنِ مُفْتَتِنَا
مَضُونًا وَتَمْضِي وَكَمْ يَأْتُونَ بَعْدُ وَكَمْ
يَمَضُونَ مِنْ دُونِ أَنْ يَحْطَى امْرُؤٌ بِمُنَى

340

كُنْ جَمَاراً فِي مَعَشَرَ جُهْلَاءِ
أَيَقُنُوا أَنَّهُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ
فَهُمْ يَحْسَبُونَ لِلْجَهْلِ مَنْ لِي—
سَ جَمَاراً خَلُوا مِنْ الْإِيمَانِ

341

مَنْ بَرَى أَكْؤُسَ الرُّؤُوسِ وَأَبْدَى
عُنْدَ تَكْوِينِهَا أَدَقَّ الْفَنُونَ
كَبَّ كَأْساً مِنْ فَوْقِ مَائِدَةِ الْكَوْ
نِ دِهَاقاً قَدْ أُثْرِعَتْ بِالْأَجُونِ

342

أَسَفًا لِقَلْبِي لَيْسَ يُذَكِّيهِ الْهَوَى
شَغَفًا وَلَيْسَ يَهَيِّمُ قَطُّ بِشَادِنِ
لَا يَوْمَ أَضْيَعُ قَطُّ مِنْ يَوْمِ امْرِئٍ
يَقْضِيهِ دُونَ غَرَامِ ظَلَمِي فَاتِنِ

لَوِ ارْتَكَبْتَ خَطَايَا النَّاسِ كُلِّهِمْ
لَكُنْتُ أَرْجُو لِدُنْبِي مِنْكَ غُفْرَانَا
فَدَقُلْتَ إِنَّكَ يَوْمَ الْعَجْزِ تَنْصُرُنِي
لَا عَجْزَ أَعْظَمُ لِي مِنْ عَجْزِي الْآنَا

حرف الهاء

344

إلى مَ أَسَاكَ عَأَى الفَانِيَةَ
أَنَالَ أَمْرُؤُ عَيْشَةَ بَاقِيَةَ؟
هِيَ النَّفْسُ عَارِيَةَ تُسْتَرِدُّ
فَعِشْ مَعَهَا عَيْشَةَ الْعَارِيَةَ

345

إِنْ كَانَتْ الْأَفْلَاكُ ضِيدٌ دَوِي الْبِصَائِرِ جَارِيَةَ
إِنْ شِئْتَ قُلْ هِيَ سَبْعَةٌ أَوْ شِئْتَ عُدًّا ثَمَانِيَةَ
وَإِذَا رَحَلْتَ عُدًّا وَخَلَّفْتَ الْأَمَانِيَّ بَاقِيَةَ
فَلْيَأْكُكُ نَمْلٌ قَبْرِكَ أَوْ ذَنَابُ الْبَادِيَةَ

346

إِذَا مَا صَحَوْتُ عَدِمْتُ الْهَنَاءَ
وَمَهْمًا سَكِرْتُ فَقَدْتُ النُّهَى
وَلَكِنِّي بَيْنَهُمَا حَالَةً
هِيَ الْعَيْشُ وَالْقَابُ رِقٌّ لَهَا

حرفا الياء والألف المقصورة

347

مُنْذُ مَيِّزَتْ بَيْنَ كَفِّي وَرِجْلِي
غَلَّ هَذَا الدَّهْرُ الدُّنْيَا يَدَيْنَا
أَسْفَا يَحْسِبُونَ فِي الْحَشْرِ عُمَرَا
مَرَّبِي دُونَ شَادِرٍ وَحُمَيْيَا

348

أَيُّهَا النَّفْسُ لَوْ نَفَضْتِ غُبَارَ الْـ
جِسْمِ أَضْحَى فَوْقَ السَّمَاءِ لَكَ مَا أَوْى
لَكَ عَرْشٌ فَوْقَ السَّمَاءِ فَعَيْبُ
أَنْ تَجِيئِي وَتَرْتَضِي الْأَرْضَ مَثْوَى

349

مِنَ الْعَارِ أَنْ تَسْمَعَ لِتَحْصِيلِ شَهْرَةٍ
وَأَنْ تَشْتَكِيَ مِنْ جَوْرِ ذَا الْفَلَاحِ الْبَلَوَى
لَسْتَ تَعْدُ مِنْ عَطْرِ الْحَمِيَّا بِنَشْوَةٍ
يَكُنْ لَكَ خَيْرًا مِنْ غُرُورِكَ بِالتَّقْوَى

350

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ لِدُنْبِي فِي شَقَا
فَلَسْتُ يَاؤَسُّ كَكُفَّارِ الْوَرَى
أَرْجُو وَإِنْ مِثُّ بِسُكْرِي سَحْرًا
رَاحًا وَظَبِيًّا فِي جَنَانٍ أَوْ لَطَى

دَعَّ عَنْكَ دَرَسَ الْعُلُومِ أَجْمَعِهَا
وَأَشْفَى بِأَصْنَادِ شَادِنٍ سَقَمَكَ
وَأَهْرَقَ بِكَاسِ دَمِ الزُّجَاجِ وَطَبَّ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَهْرَقَ الزَّمَانُ دَمَكَ

الفهرس

5.....	.
35
46	
60	
65	
75	
85	
87	
102	
109	
110	
114	
115	
130	
151	
152	

156
157
158
159
162
166
172
175
185
199
213
215

**إصدارات سلسلة
كتاب الجيب السابقة**

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	م
2006	.	.		1
2006	.	.		2
2006	.	.		3
2007	.	.		4
2007	5
2007	.	.		6
2007	.	.	-	7
2007	.	.	./ - - - -	8
2007			/()): (9
2007		.		10
2007		.		11

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	٢
2007		.		12
2007	.	.		13
2007	.	.		14
2008		.		15
2008		.		16
2008		.		17
2008		.	1944	18
2008		.		19
2008		.	-	20
2008		.		21
2008		.	-	22
2008		.		23
2008		.		24
2008		.		25
2009		.	-	26
2009	.	.	-	27

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	م
2009	.	.	-	28
2009	.	.	-	29
2009	.	.	-	30
2009	.	.	-	31
2009	.	.	-	32
2009	.	.	-1971	33
2009	.	.	- -	34
2010	.	.		35
2010	.	.	-()	36
2010	.	.	()	37
2010	.	.	- -	38
2010	.	.	-	39
2010	.	.		40
2010	.	.	-	41
2010	.	.	. -	42
2010	.	.	-	43

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	م
2010	- .	- .	.	44
2011	.	.		45
2011	.	.) (46
2011	.	.	004 -	47
2011	.			48
2011	.			49
2011	.	.	: -	50
2011		.		51
2011	.	.		52
2011	.	.		53
2011				54
2012			-	55
2012			-	56
2012		- .		57
2012		.	1968) (-	58

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	م
2012			1	59
2012			2	60
2012			-	61
2012			-	62
2012				63
2012			-	64
2012				65
2012				66
2012				67
2013			()	68
2013				69